



أمريكا والمذابح الجماعية

منتدى
سور الأزبكية



بوش..تل..ميد..ر النجيب!
أصبحنا أمة جاهلة..تخون أصدقائها
أمريكا استعانت بإسرائيليين لتعذيب العراقيين
حرب قذرة
الله لستم بفوض بوش
سيدى الرئيس بوش: شكرا على هذه المعزلة!
جرانم بوش وتابعه بولير
أرسل العمار فى بريطانيا
بوش مجرم حرب عليه ألا يذهب إلى بلجيكا

نعوم تشومسكى
روبرت بىرو
روبرت فيسك
جون بنيلجر
روبرت شير
پاولو كويلهو
اندرو موارى
جون بنيلجر
توماس والكوم
الكاتب البريطانى الشهير
كاتب بريطانى
لوس التلوس تايمز
روالى برازلى شهير
الجارديان
كاتب بريطانى

ايهاب كمال محمد



www.books4all.net

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

أمريكا والمذابح الجماعية

اعداد

إيهاب كمال محمد

الهرية

للنشر والتوزيع

أمريكا والمذابح الجماعية

كتاب ، أمريكا والمذابح الجماعية

إعداد ، إيهاب كمال محمد

رقم الإيداع ، ٢٥٦٩ / ٢٠٤

التقديم الدولي ، 1-41-5832-977

حقوق الطبع محفوظة للناس

مدخل «قائمة بالمجازر»

حروب كثيرة خاضتها أمريكا في تاريخها .. بدءاً بحرب فيتنام وحتى أولى حروب القرن الحالى وهى الحرب على طالبان وتنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن وهى ما أطلقت عليها إسم «العدالة المطلقة».. حروب عسكرية عديدة خاضتها أقوى دولة فى العالم.. بعضها مُثبت فيها بهزيمة والبعض الآخر خرجت منها منتصرة..

وفى هذا «المدخل» نستعرض تلخيصاً للمجازر الأمريكية تعرف العالم على الدور الأمريكى فى الحروب خلال الحرب العالمية الثانية حيث قادت الولايات المتحدة الأمريكية دول التحالف إلى النصر وألحقت الهزيمة بدول المحور بعد دخولها الحرب فى ديسمبر عام ١٩٤١ بعد ما هاجم الطيران اليابانى دون سابق إنذار الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور يوم ٧ ديسمبر من نفس العام.

وبعد دخول الولايات المتحدة الحرب بجانب دول التحالف بمثابة القشة التى قسمت ظهر دول المحور لأنها كانت قبل ذلك من دول الحياد وإن كان عدد من المحللين العسكريين يعتقدون أنها فقدت حيادها بالمساعدات التى كانت تقدمها لبريطانيا أثناء الحرب.. ولكنها دخلت الحرب رسمياً بعد الهجوم الذى شنه الطيران اليابانى على الأسطول الأمريكى حيث تسبب وأعطى الشعب الأمريكى دفعة قوية كان يستحيل بدونها تهيئة الرأى العام للدخول فى الحرب.. وبعد إعلان الولايات المتحدة الحرب إستمر الصراع

لمدة ٤ أعوام ومرّ بمراحل كثيرة حققت خلالها قوات المحور العديد من الانتصارات ولكن في النهاية رجعت كفة الحلفاء بعد أن أعلنت اليابان إستسلامها رسمياً يوم ١٠ أغسطس عام ١٩٤٥ بعد أن ألقت الولايات المتحدة الأمريكية بقنبلتها الذرية الأولى في ٦ أغسطس على مدينة هيروشيما وأعقبتها بقنبلة ثانية في ١٩ أغسطس على مدينة نجازاكي ودخل الجنرال «دوجلاس ماك آرثر» رئيس قوات الحلفاء اليابان ليبدأ إحتلال الحلفاء لها وفرض دستوراً على البلاد تخطى فيه الإمبراطور عن ألوهيته وعن كل سلطاته كما حُرّم الدستور الجديد اليابان من إمتلاك جيش هجومي وعلى مدار ٤ سنوات كاملة شاركت الولايات المتحدة الأمريكية مع دول التحالف في إضعاف القوة العسكرية لدول المحور حيث إجتمع في يناير ١٩٤٢ كل من روزفلت وتشرشل وديجول في الدار البيضاء وانتهوا بصياغة وثيقة تحدد ضرورة إجبار ألمانيا وإيطاليا واليابان على الإستسلام دون شروط ونجح الحلفاء بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في الإطاحة بموسوليني وإعلان سقوط الفاشية وفي ١٢ فبراير عام ١٩٤٥ بدأت القوات الجوية الأمريكية في شن هجمات على مدينة «د/ سرن» الألمانية وهو ما تسبب في مقتل أكثر من ٢٥٠ ألف قتيل في يومين، وفي العاشر من مارس من نفس العام تقصف الطائرات الأمريكية طوكيو في عملية «إعصار النار» التي أودت بحياة ١٢٥ ألف شخص.. وإنتهت الحرب أيضاً على يد الولايات المتحدة بعد أن أنهت القوة العسكرية اليابانية بإلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي.

لعنة فيتنام

فيتنام كانت البداية وكان السقوط المُروع.. وكانت العقدة التي أصابت المجتمع الأمريكي وسرعان ما تحولت إلى لعنة لاتزال تطارد كل أمريكي! «السلام في خطر» هذه هي العبارة التي بدأ بها الرئيس الأمريكي وقتها جونسون خطابه إلى الشعب الأمريكي - وإذا أردنا الدقة لقلنا أنه بيان حرب.. قال جونسون في بيانه:

«السلام في خطر. الحرب قد تشب في أي لحظة!!»

وبدأ العالم أجمع يعرف ما يجري في فيتنام الشمالية عندما أذاع جونسون بياناً إلى الشعب الأمريكي بشأن الموقف في جنوب شرق آسيا.. قال في بيانه: «بصفتي رئيسياً للجمهورية وقائداً أعلى أرى من واجبي أن أحيط الشعب الأمريكي علماً بأن تجدد الأعمال العدوانية ضد السفن الأمريكية في أعالي البحار في خليج تونكين قد إقتض أن أصدر أمرى إلى القوات الأمريكية العسكرية أن تتخذ الإجراءات الكفيلة بالرد على هذا العدوان».

وبدأت الحرب. التي ظنتها أمريكا سهلة. خاصة أن المسئولين الأمريكيين قالوا قبل مهاجمة فيتنام أننا أخذنا في حسابنا كل الإحتمالات الممكنة.. وأعلن بعدها وزير دفاع أمريكا روبرت مكنمارا في مؤتمر صحفي عقده بواشنطن أن الطائرات الأمريكية شنت ٦٤ غارة على ٤ قواعد زوارق الطوربيد في فيتنام الشمالية. مما أدى إلى غرق ٢٥ من هذه القوارب..

أيضاً ضربت الطائرات الأمريكية المنشآت التابعة لقواعد زوارق الطوربيد .
وسرعان ما وجدت أمريكا نفسها تخوض حرباً بلا حدود سقط فيها
الآلاف من القواعد الأمريكية حيث فقدت القوات الأمريكية أكثر من ٥٠ ألف
قتيل في إقتحامها لفيتنام ويا ليت الأمر توقف عند ذلك . إنما تعداه إلى ما
هو أخطر وأقطع . حينما إرتكبت أمريكا أبشع الجرائم وذلك عندما إعترفت
وزارة الدفاع الأمريكية باستخدامها للغازات وإتلافها المزارع لإرغام قوات
التحرير على التسليم .

الإنسحاب

وبعد أن دخلت أمريكا حرباً مع فيتنام ارتكبت فيها أبشع الجرائم ضد
الشعب الفيتنامي جعلت العالم يصف أمريكا بالوجه القبيح . فجأة أعلنت
أمريكا إستعدادها للتعاون بلا شروط لوقف القتال وتظاهر أكثر من ٥٠ ألف
مواطن أمريكي في مسيرة سلمية إلى واشنطن للمطالبة بوقف الحرب في
فيتنام .

علمية طهران

لم تستطع المخابرات الأمريكية تدعيم حكم الشاه ومنعه من الإنهيار . حيث سقط على يد الثورة الإيرانية في ٢٨ سبتمبر عام ٧٨ وكان هذا السقوط بمثابة لكمة قوية على وجه المخابرات الأمريكية.

ولم تمضى سوى شهور قليلة على حكم الثورة الإيرانية بزعامة الخوميني . حتى فوجئت المخابرات الأمريكية بصفعة أخرى على وجهها حينما إحتل حوالى مائة من العناصر الموالية لآية الله الخوميني مبنى السفارة الأمريكية في طهران وإحتجزوا مائة شخص من العاملين بالسفارة كرهائن فى مقابل المطالبة بتسليم الشاه السابق.

وذكر المهاجمون وهم طلبة أن معركة قد دارت بينهم وبين من وصفوهم «بالمترزقة الأمريكيين» إستمرت ثلاث ساعات وقالوا إنهم يحظون بتأييد فيما يتعلق بمطالبتهم بتسليم الشاه وأعوانه لمحاكمتهم . وفى واشنطن دعا الرئيس الأمريكى وقتها كارتر إلى إطلاق سراح جميع الرهائن الأمريكيين فوراً . لكن هيهات أن يستجيب الخاطفون وبدأت أمريكا تعد العدة لتخليص الرهائن . ولكن الواقع كان أليماً . وكانت النهاية خسارة وفضيحة فى الوقت نفسه!

ففى فجر يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٨٠ قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة جريئة لإنقاذ الرهائن الأمريكيين فى إيران . هبطت قوة من الكوماندوز الأمريكيين بطائرات الهليكوبتر فى إحدى الصحارى القريبة من

طهران إتخذوا وضع الإستعداد للإنقضاض على السفارة الأمريكية وتخليص الرهائن وقبل بدء تنفيذ العملية فوجئوا بمطل أصاب الأجهزة الفنية وتعطلت الإتصالات بين القيادة وبين الطائرات المشتركة فى العملية وصدرت التعليمات بالإنسحاب فوراً وأثناء إنسحاب أفراد الطاقم المشترك فى العملية اصطدمت طائرتان هليكوبتر على الأرض ولقى ثمانية من أفراد طاقم الطائرتين مصرعهم وأصيب عدد آخر وأمكن إخلاء القتلى والمصابين وجميع المشتركين فى العملية من الأراضى الإيرانية دون أى إشتباك مسلح مع الإيرانيين الذين لم يعلموا بها إلا بعد أن أعلن عنها فى واشنطن. وأصدر البيت الأبيض بياناً قال فيه أنه يأخذ على عاتقه المسئولية الكاملة عن إتخاذ القرار بمحاولة إنقاذ الرهائن.

وكانت المفاجأة عندما أفرجت إيران عن الرهائن بعد عقد صفقة مالية مع أمريكا . خرجت بعدها إيران هى الفائزة فقد حصلت على مبلغ ٢٨٧٠ مليون دولار من إجمالى أرصدها التى جمعتها أمريكا وتبلغ ١٢ ألف مليون دولار.

جرينادا!!

فى أوائل الثمانينات قفزت جزيرة جرينادا إلى بؤرة الأحداث كنقطة جديدة فى محاور الصراع الدولى الدائر فى أماكن عديدة فى العالم.. فقد شهدت تلك الجزيرة الضئيلة المساحة فى البحر الكاريبى والتي لا يزيد عدد سكانها من ١١٠ آلاف نسمة غزواً بحرياً قامت به الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع ٦ دول من أمريكا اللاتينية واستولت قوى التدخل على محطة الإذاعة والمطارين الوحيدين بالجزيرة بعد قتال مع القوات الحكومية والميليشيات الشعبية فى محاولة لإعادة المؤسسات الديمقراطية التى أطاح بها إنقلاب يسارى وأصفر عن مقتل رئيس الحكومة موريس بيشوب نفسه قد تولى السلطة نتيجة إنقلاب عسكرى فى عام ٧٩. إلا أنه لم يكن دمويّاً.

ويعمد تحريراً جرينادا إتهم الرئيس الأمريكى رونالد ريجان . وقتها . فى خطاب له . كويا بأنها كانت تسمى إلى إحتلال جرينادا وقال أن القوات الأمريكية إكتشفت قاعدة كويية كاملة بها أسلحة وأجهزة إتصالات.

غزو بنما

هذه الحرب قادها جورج بوش الأب في أواخر الثمانينات . تحديداً عام ١٨٩ حينما قامت القوات الأمريكية بعملية غزو عسكرية لبنما بأوامر من الرئيس الأمريكى جورج بوش الذى كان يتابع تطورات الموقف لحظة بلحظة من مكتبة بالجناح الغربى فى البيت الأبيض . وقال المسئولين وقتها أن عملية الغزو واستهدفت إعتقال مانويل نورييجا رجل بنما القوى وترحيله إلى الولايات المتحدة ومحاكمته هناك بتهمة الإتجار فى المخدرات وتتصيب مرشح المعارضة المنتخب رئيساً للبلاد .

وصرح وقتها الجنرال كولين باول رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات الأمريكية بأن سبعة آلاف جندي أمريكي إشتراكوا فى الهجوم ونجحوا فى قطع رأس حكومة بنما وتحويل رجلها القوى نورييجا إلى هارب .. ثم تمكنت القوات الأمريكية بعد ذلك من القبض عليه ومحاكمته فى أمريكا .

الهروب من الصومال

«عملية الأمل» هي الاسم الذي إختارته الإدارة الأمريكية لتنفيذ مهامها بمساعدة قوات دولية من عدة دول تدخلت في الصومال تحت ستار الأمم المتحدة في نهاية عام ٩٢ لإعادة المصالحة بين الفصائل الصومالية المتناحرة والتي قسمت الصومال إلى دولتين و ٨٠ قبيلة و ٣٦ تنظيمًا وتحركات القوات الأمريكية بناء على تقارير من المخابرات المركزية بجدوى تدخلها في الصومال . لكن القوات الأمريكية منيت بفشل ذريع وهزائم شديدة على يد فارح عديد وفقدت في معاركها ضده ١٨ جندياً أمريكياً . وفشل «جوناثان أهاو» أميرال البحرية الأمريكية في القبض على «فارح عديد» ومنى بخسائر شديدة القسوة.. وفشلت القوات الأمريكية في تحقيق أهدافها وقامت بقية القوات الدولية بالانسحاب عام ٩٥ وراحت المخابرات المركزية الأمريكية تلقى بأسباب فشلها في تحقيق المصالحة بين الفصائل الصومالية المتناحرة على إيران والسودان وليبيا بتهمة إمداد قوات الزعيم الصومالي فارح عديد الذي فشلت أمريكا في إسقاطه بالسلاح، وكان الصقوط الأمريكي في الصومال سقطته جديدة تتحملها في المقام الأول المخابرات الأمريكية.

الوحش الصربي

كارثة المسلمين في كوسوفا ليست مجرد عملية عنصرية للتطهير العرقي نفذها أولئك الشياطين الصرب . الذين إنطلقوا من معاقبتهم في أطلال الاتحاد اليوغسلافي السابق وكان على رأس هؤلاء السفاحين مجرم الحرب الدولي الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش . الذي إرتكب هو وقواته أبشع الجرائم الإنسانية ضد المسلمين من قتل وتعذيب وسفك دماء وإغتصاب وحش.

وقامت بعدها قوات حلف شمال الأطلسي . إزاء هذه المجازر الوحشية بحملات عسكرية منظمة ضد القتل وقتها أكد الرئيس الأمريكي كلينتون بأن هجمات الأطلسي ضد يوغسلافيا تستهدف حماية مسلمي كوسوفا وأيضاً الدفاع عن المصالح الحيوية الأمريكية في منطقة البلقان وكانت نتيجة هذه العمليات تدمير ٢٠٠ هدف يوغسلافي في ٦٠٠ طلعة جوية حنتها طائرات الحلف في ٢٤ ساعة وأكد وقتها الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ثقته في نجاح أهداف الحملة الجوية لحلف الأطلسي ضد يوغسلافيا وتعهد كلينتون بعدم التورط في مستتق جديد يشبه مستتق حرب فيتنام.

غزو الكويت

عندما أعلنت الساعة تمام الرابعة والنصف من فجر يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠.. تحرك حوالى ١٠٠ ألف جندي عراقي فى اتجاه الأراضى الكويتية ليفرضوا نفوذهم وسيطرتهم عليها.. معلنين بداية الغزو العراقى للكويت.. وسرعان ما خرج كبار المسئولين بالحكومة العراقية بتصريحات إعلامية قرروا فيها أن غزو القوات العراقية للكويت جاء تلبية لنداءات الشعب الكويتى لتخليصه من النظام الحاكم به.. بعدها بقليل خرجت الإذاعة العراقية لتتلو البيان رقم واحد لها أطلق عليه «الحكومة الكويتية المؤقتة»، زعم فيه عزل أمير البلاد وحل المجلس الوطنى وتشكيل ما يسمى بالحكومة الحرة.

وفى رد فعل سريع للولايات المتحدة الأمريكية على أثر الغزو قررت أمريكا تجميد الودائع والممتلكات الكويتية والعراقية لديها ولدى الفروع والمؤسسات التابعة لها فى الخارج بعد أن أدانت الغزو العراقى للكويت وطالبت بإنسحاب القوات العراقية فوراً وبدون شروط. ومن جانبه أجرى الرئيس حسنى مبارك إتصالات هاتفية مكثفة مع أمير الكويت من مقر إقامته بالسمودية وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ورؤساء اليمن وسوريا والعراق وملك الأردن فى محاولة لإحتواء الأزمة.

كما أدان مجلس الأمن الغزو العراقى للكويت.. وطالبت بإنسحاب القوات العراقية تنفيذاً للقرار رقم ٦٦٠

التحرير

بعد أن ظلت القوات العراقية تفوض سطوتها على الكويت طوال سبعة أشهر، رفضت خلالها السلطة العراقية إحترام النداءات والمحاولات الدبلوماسية على المستوى العالمى بضرورة الانسحاب الفوري من الأراضى الكويتية وبإصدارها على الغزو، وأعلنت قوات التحالف الدولى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية فجر يوم ٢٨ فبراير ١٩٩١ بداية حرب تحرير الكويت بشن هجمات عسكرية شرسة تستهدف ضرب المواقع العسكرية للقوات العراقية داخل الأراضى الكويتية لإرغامها على الانسحاب أمام الهجوم المتواصل لقوات التحالف براً وبحراً وجواً.

حتى أعلن العراق انسحابه الكامل من الأراضى الكويتية معلناً هزيمته أمام قوات التحالف.

ثم تلا تلك الحرب أحداث هايتى، وكولومبيا وأحداث ١١ سبتمبر والحرب على أفغانستان حيث كانت معقل حركة «طالبان»، ثم الحرب مرة أخرى على العراق واحتلال مَدينها.

وسيأتى تفصيلاً لما سبق فى الفصول التالية من هذا البحث الذى يدور حول الجذور الإستعمارية للولايات المتحدة والمجازر الجماعية التى إقترفتها فى بقاع شتى من العالم.

مرحلة التكوين لأمريكا الإستعمارية

مرحلة التكوين لأمريكا الإستعمارية

«إذا كانت الطفولة «مرحلة التكوين» تؤثر في باقى مراحل حياته اللاحقة وتترك عليها بصماتها فالطفولة بهذا المعنى «كمرحلة التكوين» تُعدُّ قاسماً مشتركاً بين «الفرد» والمجتمع.. فهو ناموس طبيعى كونى.. وإطلالة على مرحلة التكوين تهتُعدُّ «نقطة ضوء كاشفة» تُمكّننا من إستشراف الآتى وفهم السلوك فى الماضى والحاضر وإستشراف المستقبل.

يرجع تكوين الولايات المتحدة الأمريكية إلى المرحلة الإستعمارية التي أعقبت حركة الكشف الجغرافية في نهاية القرن الخامس عشر فإثر إكتشاف كريستوفر كولمبس للعالم الجديد ١٤٩٢ تسابقت الدول الأوروبية إلى إستعمار هذا العالم الجديد.

وكانت قارة أمريكا الشمالية ميداناً لتنافس ثلاث دول أوروبية هي إنجلترا وفرنسا وأسبانيا. فاستعمرت أسبانيا الأجزاء الجنوبية من القارة واستحوذت فرنسا على شمال ووسط القارة في حين إستحوذت إنجلترا على السواحل الشرقية للقارة حيث تأسس خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (فيما بين ١٦٠٧ - ١٧٣٢) ثلاث عشرة مستعمرة تابعة للتاج البريطانى إمتدت فيما بين ساحل المحيط الأطلنطى وجبال الأبلش وكانت هذه المستعمرات أو الولايات هي النواة التي قامت عليها جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية.

ولسنا هنا بصدد سرد تاريخ هذه الفترة الإستعمارية الطويلة التي بدأت بتأسيس مستعمرة جيمس تاون - فلا دلفيا - في عام ١٦٠٧ وأستمرت لأكثر من قرن ونصف القرن عندما بدأت حركة الإستقلال الأمريكية بعد عام ١٧٦٣ لكن مع ذلك لا يمكن أن نتجاهل تاريخ هذه الفترة بإعتبارها فترة أو مرحلة التكوين ولذلك فسوف نتوقف عند عدد من الظواهر التي كان لها تأثيرها على تشكيل الكيان الأمريكى وتطوره والتي مازالت بصماتها مستمرة بشكل أو آخر فى مسار التاريخ الأمريكى حتى الآن وأهم الظواهر التي سنتوقف عندها خلال مرحلة التكوين الإستعمارية هي ثلاث ظواهر:

الأولى. ظاهرة المنصرية وغطرسة القوة

الثانية. ظاهرة الأقلية الذكية والجمهور الوضع.

الثالثة ظاهرة الفلسفة البراجماتية «النفعية»

١. ظاهرة العنصرية وخطرة القوة

فقد كان مجتمع المهاجرين الأوروبيين الذين إستوطنوا الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية خليطاً غير متجانس خرج من رحم قارة أوروبا بكل تناقضاتها وتنوعها وكان منهم الأيرلنديون والاسكتلنديون والسويديون والألمان والفرنسيون وغيرهم من القوميات الأوروبية لكن الأغلبية العظمى من هؤلاء المستوطنين كانوا من الإنجليز ولذلك تم بسهولة منع هؤلاء المهاجرين وهذه المستوطنات بالطابع الإنجليزى فقد كانوا جميعاً ينتمون إلى الجنس الأبيض والحضارة الأوروبية؛

وكان الإضطهاد الدينى سبباً رئيسياً وراء هجرة هؤلاء الأوروبيين البيض فقد شهدت أوروبا آنذاك صراعاً دينياً حاداً بين الطوائف المسيحية المختلفة وتعرضت طوائف البروتستانت من بيوريتان وهيجونوت وكويكرز وغيرهم فى مختلف أنحاء أوروبا لإضطهاد شديد ولذلك كان معظم المهاجرين من طوائف البروتستانت الذين تأثرت عقائدهم الدينية بتعاليم العهد القديم وخاصة عقيدة الشعب المختار وأرض الميعاد فتصوروا أنفسهم شعب الله المختار الذى إصطفاه على العالمين ووهبه أرض الميعاد الجديدة «أمريكا» الأرض المقدسة التى أعدها العرب لشعبه المختار.

وأدى تبنى المهاجرين الأمريكين البيض لعقيدة الشعب المختار وأرض الميعاد وفقاً للنموذج التوراتى إلى نزعة عنصرية شديدة تأصلت داخل الشخصية الأمريكية ودفعتها إلى إبادة الهنود الحمر وإستعباد الزنوج السود

ولذلك فقد كان التاريخ الأمريكى إبان مرحلة التكوين الإستعمارية ملحمة عنصرية تم خلالها إبادة الهنود الحمر واستعباد الزنوج السود.

هبالنسبة للهنود الحمر

سكان أمريكا الأصليين الذين كانوا يعيشون فى هذه البلاد عندما نزل المستوطنون الأوربيون البيض فى جيمس تاون ١٦٠٧ فقد تعرضوا طوال الفترة الإستعمارية لعملية إبادة من جانب البيض الذين أطلقوا لنزوعهم العنصرى العنان فجردوا الهنود الحمر من طبيعتهم البشرية واعتبروهم مجرد أشياء يجب إزاحتها وأباحوا لأنفسهم إبادتهم بدعوى أنهم شعب همجى حقير ليس له حضارة وأنهم برابرة ملحدون لا يجوز لهم إمتلاك الأرض التى يعيشون عليها فالأرض هى ملك لله وقد وهبها للمؤمنين ولذلك فمن حق المسيحيين فى كل مكان طرد غير المسيحيين من أرضهم والإستيلاء عليها.

ومن ثم شن المهاجرون البيض حرب إبادة ضد الهنود الحمر واستخدموا فيها كل الوسائل ومكثهم تفوقهم العسكرى باستخدامهم للبندقية على دحر وإبادة الهنود الذين كانوا يحاربون بالسهم والقوس كما ساعدهم تفوقهم التكنولوجى على نشر الأمراض الوبائية خاصة الجدري بين الهنود الحمر وكانت محصلة هذه الحرب أن الهنود الذين كان عددهم فى منطقة الساحل الشرقى يصل فى بداية المراحل الإستعمارية ١٦٠٧ إلى أكثر من ٨٠٠ ألف نسمة فى أقل تقديرات لعلماء الأنثروبولوجيا إنخفض عددهم بفعل هذه الإبادة فى نهاية المرحلة الإستعمارية ١٧٦٣ إلى أقل من ١٠٠ ألف نسمة كان ثمن بقائهم أحياء هو الوقوع فى أسر العبودية أو العيش عيشة بائسة فى معازل فقيرة أو التحول إلى مجرد مزارعين أجراء وعمال باليومية وخدم بالمنازل فى ظل نظام عنصرى يحرم الاختلاط بين الهنود الحمر وسادتهم من البيض.

وقد حاول الأمريكيون تبرير جريمة إبادة الهنود الحمر وإلقاء

مستوليتهما على وحشية الهنود الحمر الذين كان عددهم يقل عن المليون نسمة ويميشون في مساحة تبلغ ٢ مليون كم^٢ أي ما يساوي مساحة قارة أوربا وهي مساحة كانت كافية لإستيعاب المهاجرين البيض إلى جانب الهنود لكن الهنود الحمر كانوا . كما تقول الدعاية الأمريكية . برابرة متوحشين رفضوا قبول المستوطنين الأوربيين وشنوا عليهم حرباً وحشية أدت في النهاية إلى إنهمام الهنود وإبادتهم .

لكن هذا التبرير الأمريكي المزيف لا يصمد أمام حقائق التاريخ الأمريكي الثانية فلم يكن الهنود الحمر برابرة متوحشين كما يزعمون بل كانوا شعباً مسالماً وديعاً إستقبل المستوطنين البيض في بادئ الأمر إستقبالاً طيباً وأقام معهم علاقات مودة وصداقة وتعاون وتعايش معهم سليماً ورحب بعلاقات التبادل التجاري لكن الأوربيين البيض سرعان ما فرضوا الصراع على الهنود الحمر عندما تحولوا لإستيطان أراضي الهنود والإستيلاء عليها وطردتهم بالقوة إعتماًداً على غطرسة القوة التي جاءتهم من تقدم أسلحتهم على أسلحة الهنود .

وفي أتون هذا الصراع الدامي الذي فرضه البيض تلبية لأطماعهم في الإستيلاء على الأرض ظل الهنود يتطلعون بإستمرار إلى التعايش السلمي مع البيض لكن المستوطنين البيض كانوا يرفضون بإستمرار محاولات الهنود السلمية ويفرضون عليهم الحرب والتاريخ الأمريكي حافل بالشواهد والحقائق والوقائع التي تثبت ذلك .

ويكفي لذلك أن نذكر تجربة التعايش السلمي للهنود في ولاية بنسلفانيا فهذه الولاية التي أسسها وليم بن وجماعة الكويكرز ١٦٨٢ . أخذت بمبدأ التعايش السلمي فبادر الهنود للتجمع في هذه الولاية وتعاونوا مع المستوطنين البيض وعاشوا معهم في سلام وأخذت بعض جماعاتهم في محاكاة حضارة الرجل الأبيض واستمر ذلك لأكثر من ثلاثين عاماً عندما تحولت بنسلفانيا على سياسة التعايش السلمي بعد وفاة وليم بن ١٧١٢ وقامت بطرد الهنود من أراضيها .

أما بالنسبة للزواج السود

فقد تعرضوا بدورهم لإضطهاد عنصري بشع فقد كان الإنجليز البيض شديدي العنصرية وينظرون إلى اللون الأسود كتجسيدا للشر والقبح وكمراذف للهمجية والبهيمية وينظرون إلى الحضارات الأفريقية على أنها همجية ومتخلفة.

وقد بدأ إسترقاق الزوج الأفارقة في أمريكا بوصول أول فوج من العبيد من أفريقيا إلى جيمس تاون في عام ١٦١٩ لكن إسترقاق الزوج ظل محدوداً في المستعمرات الأمريكية طوال القرن السابع عشر فلم يزد عدد العبيد عن ٤ آلاف عبد حتى عام ١٦٧٥ ثم بدأ التوسع في تجارة الرقيق خاصة بعد إحتكار بريطانيا لتجارة الرقيق في أفريقيا منذ عام ١٦٩٧ فزاد الإقبال على إستخدام الزوج السود والأرقاء وارتفعت أعدادهم خلال القرن الثامن عشر حتى وصلت في نهاية الفترة الإستعمارية إلى نحو نصف مليون عبد كانوا يشكلون نحو ٢٠٪ من السكان وأصبح الرق مؤسسة ذات شأن في التجربة الأمريكية وتم وضع قوانين للأرقاء السود تحول بموجبها الزوج من بشر إلى ممتلكات وتم تجريدتهم من آدميتهم وسلبت جميع حقوقهم الإنسانية وتحولوا إلى مجرد متاع وتم إستغلالهم بشكل بشع أكثر مما تستغل الماشية وحرموا من حق الملكية وحق التعليم ومن الإشتغال بالتجارة أو الشهادة أمام المحاكم أو المشاركة في الحياة السياسية أو السفر بدون تصريح ولم يعترف لهم بحقوقهم الإنساني في الإرتباط الأسرى وانسحبت العبودية إلى أطفالهم وفرضت عليهم التفرقة العنصرية حتى عند الصلاة داخل الكنائس.

وصدرت قوانين في كثير من المستعمرات تحرم ملاك العبيد من تحرير أرقائهم وتم إستخدام الديانة المسيحية لترويض العبيد والقبول بالعبودية طمعاً في المجد الذي يناله العبد الذي يُطيع سيده ولا يفسد إيمانه التطلع للحصول على الحرية فتم تربية العبيد وفقاً لقيم الخضوع والخنوع والطاعة والزهد والتقشف لكن ذلك لم يمنع من قيام العبيد بالعديد من الثورات

وحركات العصيان والتمرد في كثير من الولايات على الرغم من العقوبات الوحشية والتشريعات القمعية التي كانوا يتعرضون لها جزاء التمرد أو الثورة.

والخلاصة. أن ظاهرة العنصرية ذات الجذور التوراتية واعتقاد الأمريكيين بأنهم شعب الله المختار الذي وهبهم الرب أرض الميعاد الجديدة «أمريكا» قد تأصلت في الشخصية الأمريكية في مرحلة التكوين خلال الفترة الإستعمارية في القرنين السابع عشر والثامن عشر وتجلت بوضوح في إبادة الأمريكيين للهنود الحمر واستعبادهم للزنج السود.

وصاحب هذه السمات العنصرية في الشخصية الأمريكية إحساس طاغ في الشخصية الأمريكية بفطرسة القوة من جراء تفوقهم العسكري والتكنولوجي على الهنود الحمر والزنج السود.

٢. ظاهرة الأقلية الذكية والجمهور الوضيع

قلنا إن مجتمع المهاجرين الأوروبيين للذين إستوطنوا الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية كان خليطاً غير متجانس خرج من رحم قادة أوروبا بكل تناقضاتها وتنوعها ولم يقتصر هذا التنوع على الأصول القومية أو المعتقدات الدينية بل إمتد إلى الأصول الإجتماعية والأوضاع الطبقيّة فكان مجتمع المهاجرين الأوروبيين خليطاً من الطبقات والشرائح الإجتماعية المختلفة من أعلاها إلى أدناها وكان التمييز بينها فى المكانة الإجتماعية موجوداً باستمرار طوال فترة التكوين الإستعمارية فالمستعمرات البريطانية التى تأسست منذ بداية القرن السابع عشر تحت سيادة التاج البريطانى كونتها شركات إستعمارية من رجال الأعمال ورجال البلاط ومنحت الطبقة الراقية من اللوردات والنبلاء إقطاعيات كبيرة من الأرض وتصل إلى عشرات الآلاف من الهكتارات فكان ذلك نواة المجتمع الإقطاعى الأرسقراطى الذى نقله الإنجليز إلى العالم الجديد حيث إستحوذت بعض الأسر الأرسقراطية مثل أسر فيرفاكس ورايت وبلتيمور وين وجرانيفيل على معظم الثروة الزراعية وأدارتها بطريقة إقطاعية ومارست حياة الطبقة الأرسقراطية بما فيها من إستعلاء وترف وفخامة وتبذير وتمتعت بكل الإمتيازات وسيطرت على الحياة السياسية والإجتماعية واحتكرت السلطة وسيطرت على إدارة المستعمرات أو الولايات.

كما هاجر تحت وطأة الفقر عناصر من الطبقات الأوربية الفقيرة فكان المسرحون من السجون البريطانية والمدينون الماجزون عن الوفاء بديونهم والفقراء الذين يعانون الفاقة يهاجرون إلى العالم الجديد ولكنهم كانوا يقعون فريسة في أيدي الأفاقين ورجال الأعمال الذين كانوا يتعاقدون معهم على نقلهم من أوروبا إلى أمريكا نظير التزامهم بالعمل سخرة لعدد من السنين يتراوح بين ٣ و ٧ سنوات لتسديد مصاريف السفر وكانت حياة هؤلاء الفقراء من العمال المتعاقدين حياة شاقة وعسيرة فهم يعملون كخدم أو في المهن اليدوية أو الزراعية الشاقة وحتى بعدما كانوا يتحررون من الخدمة الإجبارية كانت أوضاعهم تظل سيئة فهم إما يظلون في المدن كطبقة بروليتارية معدمة تشتغل بأعمال الخدمة أو الأعمال اليدوية الشاقة وإما يتجهون غرباً إلى مناطق الحدود حيث يمكنهم إمتلاك مساحات صغيرة من الأرض يقومون بزراعتها في ظل ظروف شاقة.

وإلى جانب هاتين الطبقتين العليا والدنيا هاجر بعض عناصر الطبقة الوسطى من التجار والمزارعين ورجال الدين وصفار الضباط والموظفين والمهنيين.

والحرفيين واشتغلت هذه الطبقة بالأعمال المهنية كالطب والمحاماة أو الأعمال الحرفية كالميكانيكا أو بأعمال التجارة أو الزراعة أو أعمال البحر فكانوا يشكلون عماد الطبقة الوسطى الأمريكية.

وآثرت طبيعة الحياة الأمريكية بإمكاناتها الواسعة وثرواتها الهائلة على هذا التكوين الطبقي فلم تعرف الحياة الأمريكية كيانا طبقياً صارماً كما في أوروبا بل كانت إمكانات الحراك الإجتماعي ولذلك ظهرت طبقة أرستقراطية جديدة تكونت من الذين جنوا ثروات كبيرة من تجارة العبيد وتجارة الفراء والأعمال البحرية والمضاربة على الأرض وتمكنت هذه الطبقة الجديدة من إمتلاك ضياع كبيرة ومصارف مالية وبيوت تجارة كبيرة أمثال عائلات

هاريسون وكارتر وموريس وهانكوك ورائدولف وواشنطن لكن إمكانات الحراك الإجتماعى لم يكن معناه تحقيق نوع من المساواة فقد ظلت الحياة الأمريكية شديدة الطبقة حيث استأثرت الأقلية الأرستقراطية بالامتيازات الإجتماعية والإقتصادية التى ظفرت بمساحات كبيرة من الأرض كمنح أو إقطاعيات دون مقابل كما كانت تكره أولئك الذين كونوا الثروات من التجارة والمضاربات فى الوقت الذى لم يتح فيه للفقراء فرصة لتولى الوظائف أو المشاركة فى الحياة السياسية وكانت نسبة الحراك الإجتماعى بين طبقة العامة ضعيفة ولم ينتقل منهم إلى وضع طبقى أعلى سوى أعداد قليلة. ومن ثم كان الصراع الطبقى بين الفقراء والأغنياء حاداً مما أدى إلى قيام ثورات كثيرة من جانب المعدمين ضد الأغنياء وكان أشهرها ثورة بيكون فى فرجينيا عام ١٦٧٦ حيث قاد بيكون جماعات من الخدم والعمال المتعاقدين وأصحاب المزارع الصغيرة على الحدود وغيرهم ممن لم يكن لهم صوت إنتخابى ويمانون الضرائب الباهظة والحرمان من الوظائف واجتاح بهم عاصمة الولاية جيمس تاون من أجل الدفاع عن حقوق صغار المزارعين والعمال لكن الأرستقراطية الفنية بقيادة الحاكم بيركلى تمكنت من القضاء على هذا التمرد بعد موت بيكون وقامت بشنق الثوار.

وظل الصراع الطبقى بين الفقراء والأغنياء غير متكافئ فقد سيطرت الأرستقراطية بجناحيها القديم والجديد على مصادر القوة ورغم أن عددهم لم يكن يتجاوز ٣٪ من السكان فقد سيطروا سيطرة كاملة على المجالس التنفيذية والتشريعية وعلى الوظائف المهمة فى المستعمرات وجسوا مصالحهم ودافعوا عن نفوذهم من خلال الدساتير التى أصدرتها الولايات لحماية الحقوق الفردية للإنسان فركزت هذه الدساتير إهتمامها بالدرجة الأولى على مبدأ حماية الملكية الخاصة كهدف رئيسى من أهداف الميثاق الإجتماعى واعتبرت أنه بغير حقوق الملكية تصبح الحقوق الشخصية مُفرغة

من مضامينها الحقيقية ولذلك وضعت حقوق الملكية في مرتبة القداسة التي تمثلها القوانين الإلهية التي لا يمكن للبشر المساس بها واعتبرت الملكية أساس حرية الأمريكي وجملت هدف الدساتير والقوانين الأولى حماية حقوق الملكية الخاصة. وأدى ذلك إلى صياغة الديمقراطية الأمريكية في مرحلة التكوين الإستعمارية صياغة خاصة تقوم على أساس إستعباد مبدأ الإقتراع العام بدعوى أنه يعرض حقوق الملكية الخاصة للخطر لذلك أستبعد الفقراء والنساء والعبيد من حتى الإقتراع وقصر حق الإنتخاب على الذكور الذين لهم نصاب مُحدد من الملكية ينتخبون الأغنى منهم ليعبروا عنهم ويدافعوا عن مصالحهم وامتيازاتهم.

٣. ظاهرة البراجماتية الأمريكية «النفعية»

البراجماتية مذهب فلسفى إعتقه الأمريكيون وشاع بينهم وقامت على أساسه حياتهم وهو كاي مذهب فلسفى يدور حول رؤية الطبيعة البشرية التى اختلف حولها الفكر الإنسانى منذ نشأته المبكرة فالبعض رأى الإنسان كائناً فردى النزعة والبعض الآخر رآه كائناً إجتماعى النزعة والبعض نظر إلى الطبيعة البشرية على أنها خيرة فى جواهرها والبعض الآخر. رأى أن طبيعة شر فيها متصلة وكل فريق ينحاز لوجهة نظره ويعتبرها نظرية مُطلقة وفطرية ويزعم أنها تتفق مع النظام الطبيعى والفطرة البشرية مع أن المسألة بطبيعتها خلافية ولا يمكن لأحد الزعم بحسمها.

ويبدو أن هناك عوامل كثيرة متشابكة ومعقدة شكلت وجهة نظر الأمريكى أو فلسفة فالإضطهاد الدينى والسياسى الذى تعرض له المهاجرون الأوربيون والصراع الحاد الذى خاضه الرواد الأوائل من المستوطنين البيض فى مواجهة الهنود الحمر والسيطرة على الطبيعة والإستثمار بخبراتها أزكى فى الشخصية الأمريكية سمتين رئيسيتين:

السمة الأولى. تمجيد الروح الفردية.

السمة الثانية. هى تعظيم الثروة وإعلاء شأن المادة وهاتان السمتان يطلق عليهما اسم الفلسفة البراجماتية وهى فلسفة تقوم على نبذ النظرة

المتكاملة الحاملة إلى الطبيعة البشرية بإعتبارها طبيعة خيرة وإستبدالها بنظرة أخرى واقعية تقوم على أساس أن كل إنسان يعمل من أجل مصلحته الفردية وتحقيق المكسب المادى. فالطبيعة البشرية تتسم بالأنانية المفرطة والسلوك الإنسانى مدفوع المنفعة الشخصية.

ولذلك ترى الفلسفة البراجماتية أن النظر إلى الطبيعة البشرية بغير ذلك هو محض يوتوبيا خيالية حاملة لأنه لا يمكن تعديل الطبيعة البشرية فى جوهرها فتبقى أعمق أطوار الطبيعة البشرية دون تبديل ولا يمكن تعديلها بأى وسيلة أو إعادة صياغتها بأى طريق لأن الإنسان لا يتغير فى نزعاته الأساسية وليس فى وسع الدين أو التربية أن تغير فى هذه الطبيعة الفطرية ولا بد من أخذ الناس على طبيعتهم.

ولذلك تخلص الفلسفة البراجماتية إلى أن أنانية الإنسان مثلها مثل الجاذبية هى إحدى حقائق العالم التى لا يمكن تجاهلها وأن العواطف الأنانية تسيطر على طبيعتنا وهى مزروعة فى كياننا من أجل سلامتنا وأن هذا القانون هو القانون الأعظم فى محافظة الإنسان على ذاته. كما تخلص إلى أن أقوى عواطف البشر هى المال والطموح والتنافس ولذلك فالحقيقة الحاسمة فى الحياة الإنسانية هى اختلاف المصالح والصراع المستمر بين البشر لتحقيق الطموح وجمع المال والإنتصار فى التنافس ولذلك فالمجتمع البراجماتى يعظم من شأن الثروة وييجلها ويجعل السعى إليها والصراع من أجلها هو غاية كل إنسان ويتم تقييم الإنسان على قدر ما يملكه من ثروات فالإنسان الذى يملك المال بصرف النظر عن كيفية إكتسابه يصبح ذا شأن ومحل إحترام وتقدير أما المعوز الذى لا يملك مالا فهو مجرد شخص تافه وعرضة للتقريع دائماً وأبداً.

ولذلك لا تستهجن البراجماتية الأمريكية الوسائل غير الأخلاقية التي يستخدمها الناس للحصول على الثروة وتحقيق مصالحهم وترى من الطبيعي أن يعيش قطاع من الناس على عمل قطاع آخر وأن يستغل الأقوياء الضعفاء وأنه من الطبيعي في ضوء ذلك أن يتمكن عدد قليل من الرجال من جمع ثروة هائلة على حساب إزدياد الفقر لدى الأغلبية.

تفصيل بعض ما حدث من المذابح

(١) هيروشيما

٦ أغسطس ١٩٤٥

أقيت أول قنبلة ذرية في التاريخ على مدينة هيروشيما، وقد وصفها أحد اليابانيين بما يلي.

«فجأة، ظهر في السماء ضياء شديدة، رافقة إهتزاز غير طبيعي لحقت به موجة من الحرارة الخافقة والرياح العاصفة التي كانت تجتاح كل ما تجده أمامها، وفي ثوان قليلة احترق الآلاف من الناس الذين كانوا يسيرون في الشوارع أو يجلسون في الحدائق العامة. كثيرون قتلوا بالحرارة الهائلة التي انتشرت في كل مكان. كل ما كان قائماً في منطقة الانفجار من جدران ومنازل ومصانع قد سُحق سحقاً وأبید إبادة تامة. واندفع فتات هذه الأشياء نحو الفضاء في دوامة رهيبة. أما الحافلات الكهربائية والقطارات فقد إرتفعت في السماء كأنها لعب أطفال، واختفت الأشجار في الالهب لقد إنهار كل شئ في دائرة قطرها ١٠ كيلو مترات أما الذين كتبت لهم النجاة فقد ظهرت عليهم بوادر غريبة قيئ وإسهال بلغا درجة غير معهودة، رافقتها حالات نزيف من الفم، لكن هؤلاء ما لبثوا أن ماتوا بعد ٢٠ أو ٣٠ يوماً من شدة الآلام، وفي المساء، إنكمشت السنة نيران وزالت إذ لم يبق ثمة شئ تأكله. لقد كانت هنا مدينة إسمها هيروشيما».

قدّرت قوة هذه القنبلة بنحو ٢٠,٠٠٠ طن من مادة ت. ن. ت الناسفة
وبلغ عدد ضحاياها ٩١,٠٠٠ قتيل و ١٠,٠٠٠ بين جريح ومفقود.

وفي يوم ٩ أغسطس. ألقيت القنبلة الذرية الثانية على مدينة
ناجازاكي. فذهب ضحيتها ٧٣,٨٨٤ قتيلاً و ٦٠,٠٠٠ بين جريح ومفقود.

(٢) مدينة درسدن الألمانية

في ١٣ فبراير ١٩٤٥

قام الجيش الأمريكي بقصف مدينة درسدن عاصمة سكسونيا على نهر الألب وهي مركز صناعي هام، وميناء داخلي كبير، أسفر القصف عن تدمير نحو ثلاثة أرباع المدينة ومقتل ٢٢,٠٠٠ مدني.

ومن معالمها التي دُمرت. قصر ومتحف تسفنجر، والهوفكرشة (كهيسة البهو) والكاتدرائية، وبعد إحتلالها أخذت روسيا معظم التحف الفنية الموجودة في دهايز المتحف، ومنها لوحة روفائيل «سستين ماريدونا»

(٣) الحرب الكورية

٢٥ يونيو ١٩٥٠

اندلعت الحرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية بهجوم خمس فرق شمالية خط العرض ٣٨ (خط التقسيم) وغطت في ثلاث أيام ٦٠ كيلو متراً التي تفصلها عن سيول وحاصرت العاصمة. وهيأت للولايات المتحدة فرصة التدخل مباشرة في قضايا القارة الآسيوية وتوكيد عزمها أمام العالم على إحتواء التوسع الشيوعي. وفي ٢٧ يونيو. أجاب مجلس الأمن مباشرة نداء سيول وأرسلت ١٦ دولة وحدات تحت راية منظمة الأمم المتحدة وفي نفس اليوم أرسل الرئيس ترومان إلى الجنرال «ماك آرثر» أن يطلق في معركة جميع القوات الأمريكية، البرية، الجوية، البحرية، المراقبة في اليابان، وبينما كانت الجيوش الحليفة تدحر الخصم وتجتاح أرضه.

وتبلغ حدود منشوريا وبدأت القضية خاسرة بالنسبة للكوريين الشماليين. هجمت ٣٠ فرقة صينية على عرض الجبهة كله. وقفز النزاع، وركم الأحزان والدمار على «بلاد الصباح الهادئ»، وعندما إقترح ماك آرثر في إبريل ١٩٥١، إقحام العزم بإستعمال السلاح الذرى ضد الصينيين. إصطدم بمعارضة ترومان الرسمية الذي نحا عن قيادته.

ودامت الحرب ثلاثة أعوام، وكلفت ٨ ملايين نفس بشرية وخسائر مادية عظيمة.. كان النصيب الأكبر منها لكوريا الشمالية.

(٤) فيتنام

نقطة بيضاء وسط عاصفة الظلام

على مدى عشرين عاماً على وجه التقريب، شنت الولايات المتحدة بشكل مباشر أو عن طريق وكلائها، حرباً في فيتنام، وراح ضحية تلك الحرب خمسة وأربعون ألفاً من الأمريكيين، و ٩٥ ألفاً من مختلف القوميات في الجيش الإستعماري الفرنسي السابق، أما سكان فيتنام فلا يُعرف عدد قتلهم إذ تتراوح التخمينات ما بين (مليون ومليونى نسمة) ولم يعرف سوى عدد محدود جداً من الناس، الأسباب الحقيقية والطريقة التى ساعدت بها أربع حكومات متتالية: حكومات الرؤساء: ترومان وأيزنها وروكنيدى وجونسون، فى الإبقاء على تلك الحرب التى لم تتوقف فى فيتنام، وهى الحرب التى واصلتها حكومة الرئيس نيكسون.

ففى منتصف عام ١٩٦٧، إتخذ «روبرت ماكمارا» وزير الدفاع الأمريكى، قراراً قد يتضح أنه أهم القرارات التى أصدرها طوال السنوات السبع التى قضاها فى البنتاجون فقد جمع ما عُرف منذ ذلك الحين بوثائق البنتاجون وهى عبارة عن تاريخ ضخمة غاية فى السرية لدور الولايات المتحدة فى فيتنام، واستغرق هذا العمل عاماً ونصف العام صفقة وكانت الحصيلة حوالى ٢٠٠٠ صفحة من السرد التاريخى، وأكثر من ٤٠٠٠ صفحة من الوثائق الملحقه، يقدر مجموعها الكلى بحوالى ٢,٥ مليون كلمة. وتغطى المجلدات السبع والأربعون تورط أمريكا فى فيتنام منذ الحرب العالمية الثانية،

حتى مايو ١٩٦٨، وهو الشهر الذى بدأت فيه محادثات السلام فى باريس، بعد أن وضع الرئيس جونسون حداً لزيادة العمليات الحربية وكشف عن رغبته فى عدم إعادة ترشيح نفسه.

وتوصل المؤرخون إلى عديد من الإستنتاجات العامة والنتائج الخاصة تلخص فيما يلى:

(١) إن قرار حكومة ترومان بتقديم العون العسكرى لفرنسا فى حربها الإستعمارية ضد فيتنام التى يقودها الشيوعيين قد «ورط الولايات المتحدة مباشرة» فى فيتنام «وحدد» مجرى السياسة الأمريكية.

(٢) إن قرار حكومة إيزنها وبإنقاذ جنوب فيتنام المحتاج إلى الحماية من سيطرة شيوعية، ومحاولة الحكومة تخريب النظام الشيوعى الجديد فى شمال فيتنام، جعل للحكومة «دورا مباشراً فى القضاء التام على إتفاق جنيف» حول فيتنام لعام ١٩٥٤.

(٣) إن حكومة كيندى، رغم أنها لم تتورط فى قرارات التصعيد الأساسية نتيجة لوفاة رئيسها، قد حولت سياسة «المغامرة المحدودة المخاطر» التى ورثتها إلى «تعهد عرفى» واجه الرئيس نكسون بالاختيار بين مزيد من الحرب أو الانسحاب.

(٤) إن حكومة جونسون، رغم رفض رئيسها وتردده فى إتخاذ القرارات النهائية، قد وُسِّعت الحرب الخفية ضد شمال فيتنام، وبدأت تخطط فى ربيع ١٩٦٤. لشن حرب صريحة، وذلك قبل أن تكشف الحكومة علناً عن عمق تورطها وخوفها من الهزيمة بعام كامل.

إن حملة الضغط العسكرى السرى المتزايد خلال عام ١٩٦٤ والبرنامج الموسع للإغارة على شمال فيتنام فى عام ١٩٦٥ قد بدأت رغم أقتناع أجهزة المخابرات الحكومية بأن تلك الإجراءات لن تدفع «هانوى» إلى وقف مساندتها العصيان الفيتكونج فى الجنوب، وبأن الفارات ستنتهى إلى أن

تصبح غير فعالة من الناحية العسكرية خلال شهور قليلة.

إن هذه الحكومات الأربع المتتالية قد خلقت المأزق السياسى والعسكرى والنفسى الأمريكى فى فيتنام، وفى الغالب بشكل أعمق مما أدركته كل منها فى حينه وذلك عن طريق الشحن الواسع النطاق للمعدات العسكرية للفرنسى فى عام ١٩٥٠، وعن طريق عمليات التخريب والإرهاب العسكرية ضد شمال فيتنام التى بدأت عام ١٩٥٤، وعن طريق التحركات التى شجعت وحرضت على الإطاحة بالرئيس «نجودين ديم» فى جنوب فيتنام عام ١٩٦٣ وعن طريق المخططات والتعهدات والتهديدات بمزيد من التحرك والتى رأت النور فى أحداث خليج، تونكين فى أغسطس ١٩٦٤، وعن طريق الإهتمام بإعداد الرأى العام لسنوات مقبلة من الحرب الصريحة، وعن طريق تقدير ١٩٦٥ حيث تدخلت الطائرات والجيوش علناً فى الحرب بما حال دون تحقيق النتيجة المرغوب فيها سواء بالنسبة لتهدة داخل جنوب فيتنام أم تقدم المفاوضات مع شمال فيتنام.

إن قصة البنتاجون والوثائق الملحقه بها. إنما تكشف أنه بمجرد أن حدد الهدف الرئيسى للسياسة والمناقشات الداخلية الدائرة حول فيتنام كيفية تحقيق تلك الأهداف بدلاً من أن تتناول الإتجاه الرئيسى لتلك السياسة.

وتشير الدراسة إلى أن الحكومة الأمريكية منذ عهد ترومان ومن تلاه شعرت بضرورة إتخاذ الإجراءات الكفيلة بالحيلولة دون سيطرة الشيوعيون على كل فيتنام، وكتبرير لسياستها، كررت الحكومة نظرية الدومينو، التى تقول إنه إذا سقطت جنوب فيتنام فستتبعها بالضرورة بلدان أخرى، فى أشكال مختلفة لحوالى عشرين عاماً. وتكشف دراسة البنتاجون، أن الحكومة، وخاصة فى فترة الستينات كانت على ثقة من أن القوة الأمريكية أو حتى التهديد باستخدامها، سيمكنها من التحكم فى الحرب.

لكن الدراسة تكشف أن كبار الموظفين فى حكومة جونسون قد أفلقتهم

الأخطار المحتملة لتدخل شيوعى صينى، وشعروا بالحاجة إلى ضبط النفس لتجنب إستفزاز بكين أو الإتحاد السوفيتى إلى التورط فى الحرب.

وكما بدأ بعض صانعى السياسة يتساءلون حول فاعلية الجهد الأمريكى فى منتصف عام ١٩٦٧، يكشف التقرير عن أن وثائقهم السياسية بدأت تسعى للحدّ من الإستراتيجيات العسكرية فى البر والجو، بالإضافة إلى القلق حول تأثير الحرب على المجتمع الأمريكى وقد كتب جون ماكناتون نائب وزير الدفاع فى مذكرة إلى ماكنمارا فى أوائل مايو ١٩٦٧ يقول.

«هناك شعور قوى ومتزايد بأن الحكومة قد فقدت عقلها».

ويواصل مستر ماكناتون الذى كان من كبار المخططين للحرب الجوية فى شمال فيتنام، كلامه ليقول.

«وهذا الشعور هو أننا نحاول فرض تصور أمريكى ما على شعوب بعيدة لا نستطيع فهمها (كما أننا لم نعد نستطيع فهم الجيل الشاب فى داخل بلادنا).»

وأننا نسير بالأمور إلى أبعاد غير مقبولة، ويرتبط بهذا الشعور تزايد الإستقطاب الذى يتم فى الولايات المتحدة بما يحمله من بذور أسوأ إنقسام لشعبنا منذ أكثر من قرن».

وهكذا إستطاع الشعب الفيتنامى الفقير من إذلال أقوى دولة فى العالم فى القرن العشرين.. فلا بد لنا أن ندرس التجربة الفيتنامية دراسة عميقة ونستخلص الدروس من هذه التجربة القاسية والخصبة.

(٥) العدوان الأمريكي على الجماهيرية الليبية

١٥ إبريل ١٩٨٦ م

مساء الإثنين ١٤ إبريل بدأت عملية «الدورادو» إذ إنطلقت من بريطانيا مجموعة جوية قتالية قوامها ٢٨ طائرة من طراز «ك. س. ١٠» و «ك. س. ١٣٥» و ٥ طائرات تشويش إلكتروني من طراز «إف ١١١» و ٢٤ قاذفة من طراز ١١١ محملة على إرتفاع ٢٠,٠٠٠ قدم، متجهة نحو أهدافها في الجماهيرية العربية الليبية وفي هذه الأثناء كانت حاملة الطائرات «كورال سي» و «أمريكا» تتجهان نحو خليج سرت وعلى سطحها ١٥٥ طائرة حربية من مختلف الأنواع.

أما التنسيق بين المجموعة القتالية المنطلقة من بريطانيا والأسطول السادس فكان يتم بواسطة القاعدة الأمريكية الموجودة في جزيرة «لامبيدوسا» الإيطالية وفي الساعة الثانية من صباح الثلاثاء ١٥ إبريل بدأت الطائرات الأمريكية التي جاءت من بريطانيا وتلك التي أقلعت من حاملات الطائرات تصب أطناناً من القنابل على أهداف في مدينتي طرابلس وبنغازي يفترض أن العقيد القزافي وعائلته يقيمون في إحداها وذلك بفرض إغتياله، ولم يتأخر الرد الليبي وتحاشياً للصواريخ المضادة للرادارات أطلقت رشقات من الصواريخ سام ٢ وسام ٢ وسام ٦ وسام ٨ بدون توجيه من الرادارات كما ساهمت مدافع «شيلكا» بالتصدي للطائرات ووصف قائد الأسطول السادس

حائط الصواريخ الليبي الذي واجه الطيران الأمريكى بأنه من أكثف حيطان الصواريخ فى العالم، وقد ساعدت ضراوة المقاومة الأرضية فى التشويش على الطائرات المفيرة حيث أرغمتها على إلقاء حمولتها بعيداً عن أهدافها الأصلية والتي بلغ وزنها نحو ١٠٠ طن من مختلف القنابل والقذائف مما جعل نتائج الضربة العسكرية تقتصر فى الجانب الليبي على المدنيين فقط إذ أدت إلى إستشهاد ٢٧ شخصاً وجرح ١٣ شخص من بينهم عدداً لا بأس به من الأطفال الأبرياء.

أحداث ١١ سبتمبر.. وحرب السنوات العشر

«من كتاب سفر الموت»

«حرب السنوات العشر، أو الحرب المفتوحة مكاناً وزماناً والتعبير ليس من عندي، فقد كانت هذه هي التقديرات عندما حصل بوش . وبعد ثمانية أيام من أحداث ١١ سبتمبر . على إذن بالحرب . حينذاك جاء تصريحات رسمية بأن الحرب قد تمتد من عامين إلى عشرة، ومن أفغانستان إلى مواقع أخرى .

وبينما كان ذلك هو تقدير عناصر في الإدارة الأمريكية فإنه قد أمكن تصدير الفكرة للرأي العام صاحب الأصوات في الإنتخابات بالولايات المتحدة، ومن ثم جاءت إستقصاءات الرأي بعد عام من الحدث الكبير لتقول إن ٩١٪ من الأمريكيين يرون أن الخطر رقم واحد الذي يهدد الولايات المتحدة ولعشر سنوات قادمة هو الإرهاب .

المدى الزمني مفتوح والمدى الجغرافي كذلك، وهذه هي الحرب التي لم تضع أوزارها في أفغانستان تنتقل لمرحلتها الثانية في الشرق الأوسط عبر حلقة ضعيفة أخرى هي العراق التي جر حصارها وإضعافها لمدة تزيد على عشر سنوات .

ولم يكن العراق مُستبعدةً منذ اللحظة الأولى . فوفقاً لمداولات مجلس

الأمن القومي الأمريكى فى جلساته الأولى التى بحثت الرد على ١١ سبتمبر طرح وزير الدفاع الأمريكى رامسفيلد إقتراحاً بالهجوم على العراق فى نفس توقيت الهجوم على أفغانستان وهو الخيار الذى كانت وزارة الدفاع قد درستة وأعدت له قبل ذلك.

وكان إقتراح رامسفيلد إمتداداً لحديث ديك تشينى نائب الرئيسى والذى كان يرى أن التركيز على بن لادن أو تنظيم القاعدة لا يكفى. وإنما الأهم هى «الدول والنظم والمؤسسات السياسية التى ترعى الإرهاب».

وحينذاك حسم بوش القضية، أفغانستان أولاً. فإذا نجحنا فى ذلك ننتقل للمرحلة الثانية».

وهكذا جاءت المرحلة الثانية: العراق كمقدمة لدول سبع عدتها تقارير وزارة الخارجية راعية للإرهاب، بينها أربع دول عربية هى: سوريا، ليبيا، السودان، العراق، إضافة لدول غير عربية هى: كوبا، وإيران، وكوريا الشمالية.

ولكن بين المرحلتين الأولى والثانية جرت مياه كثيرة فى أنهار السياسة الأمريكية والدولية. بعضها يتعلق بتهيئة المسرح، وبعضها يتعلق بعقد ما نشهده من دراما.. بعضها يتعلق بتهيئة المسرح الأمريكى، أو العالمى (عداء أو تحالف).. رغم أهمية ذلك فقد كان الأكثر إثارة وخطورة هو الإعلان عن أهداف جديدة عدوانية بطبيعتها وهى أهداف حددتها «وثيقة إستراتيجية الأمن القومى للولايات المتحدة» التى أعلنها بوش يوم ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٢ وفيها يقول «إن الولايات المتحدة لن تسمح مطلقاً لأى طرف دولى آخر بأن يتحدى تفوقها العسكرى بمثل ما كانت الحال خلال الحرب الباردة».. وتضيف «إنه من الآن فصاعداً لن تنتظر الولايات المتحدة قدوم التهديد إليها ولو كمجرد احتمال وإنما هى التى ستذهب إليه لضربه عسكرياً بشكل إستباهى».

لم تعد القضية إذن هي الإرهاب، ولكن إدخال الآخرين إلى ثلاثة لا يبنون فيها عسكرياً أو اقتصادياً بما يناطح الولايات المتحدة.

ولم تعد القضية إذن هي العراق وإنما أى دولة تصبو لبناء قوة عسكرية قد تطول الولايات المتحدة ولو فى أطراف وجودها فى المحيطات الواسعة وعبر أساطيلها المنتشرة.

أصبحت القضية تحجج العالم، وأصبح الوجود فى وسط آسيا وبناء ١٣ قاعدة عسكرية أمريكية بجوار الصين بعد سبتمبر ٢٠٠١ مواجهة مطلوبة وحرباً من تحت الماء ضد القوى النووية الآسيوية الأربع الصين - الهند - باكستان - روسيا.

بل إن الحديث عن البترول كهدف من ضرب العراق أو إحتلاله وتغيير النظام فيه أصبح منطقياً حيث يحتفظ العراق بنحو ١١% من إحتياطي البترول فى العالم وحيث يملك قوس النفط الذى يضم السعودية - العراق - الإمارات العربية - الكويت، حوالى ٥٥% من إحتياطي العالم وهو ما يلزم إن سيطرت عليه واشنطن ليكون أداة هيمنة على أدوات الحضارة فى العالم، وعلى كبار مستهلكي النفط الحاليين (أوروبا - اليابان) أو المرتقبين (الصين - الهند) هي الهيمنة إذن، والبداية المعلنة: ١١ سبتمبر.. أما نقطة التحول - والتي جرى لها الإعداد طويلاً ثم جرى الكشف عنها سريعاً بعد سبتمبر - فهي الانتقال إلى الحالة الإمبراطورية، والتي بات اليمين الأمريكى يتحدث عنها بصراحة دون لبس حين يقول: «إن علينا أن نعترف بأن بلادنا أصبحت إمبراطورية بل الأفضل بين الإمبراطوريات التى عرفها العالم».

ويقول «إن الخيار العقلانى الوحيد لمواجهة تفشى العنف والتفكك والنمو السكانى بالعالم النامى هو العودة إلى الإمبريالية ووضع تلك الدول التى تهدد أمن الغرب تحت الوصاية».

كانت البداية كما نعرف: ١١ سبتمبر. ورغم أن الولايات المتحدة لم تشهد مثيلاً لهذا اليوم منذ الإعتداء على بيرل هاربور عام ١٩٤١. فإن ما جرى لم يكن الأسوأ من حيث الخسائر البشرية أو المادية (٣٥٤٧ قتيلاً و ١٢٠٠ مليار دولار قيمة الدمار المباشر) لقد شهد العالم ما يفوق ذلك في نفس الحقبة الزمنية، فمات أكثر من نصف المليون في حرب عرقية في رواندا، وقبل ذلك في بلاد إفريقية أخرى، كما استشهد الآلاف من الفلسطينيين برصاص الإرهاب الإسرائيلي قبل وبعد سبتمبر، وهو ما دعا استاذاً أمريكياً مشهوراً وهو «نعم تشومسكى» لأن يُصدر كتابه (٩ / ١١). ليقول إن أكبر إرهاب هو الإرهاب الأمريكى الذى تجلى في نيكارا جوا عام ١٩٨٠ وسقط نتيجة له الآلاف، وفي السودان حيث جرى قصف مصنع للدواء يغذى نصف حاجيات السودان من الأدوية، وحيث جرى حصار العراق ومات «مليون» طفل نتيجة الحصار أيضاً فقد كشفت مجلة نيوزويك في أغسطس ٢٠٠٢ عن موت ألف أفغانى بالإختناق في أثناء الحرب وأثناء نقلهم في حاويات مغلقة وجرت مواراتهم في مدافن جماعية، مما جعل الأمم المتحدة تطلب تحقيقاً).

لم تكن الخسائر (والتي تشير إليها وثيقة وزارة الخارجية الأمريكية في نهاية هذا الكتاب) هي الأكبر إذن، لكنها الولايات المتحدة والمواطن الأمريكى الذى ظن دائماً أنه «فوق مستوى الخطر».. بل هي أيضاً المسافة بين الشمال والجنوب.. بين واشنطن وبغداد ومقديشو ونيروبي حتى في الجانب البشرى وقعت الواقعة، فكانت بمثابة كرة اللهب التي تقاذفتها ثلاث دوائر.

● دائرة الداخل الأمريكى.

● دائرة الحلفاء المفترضين.

● دائرة الأعداء.

وكانت اللحظة مناسبة لكي تصبح الإدارة الأمريكية «الذئب.. الذئب»
فيتنازل الداخل عما تعود من حريات واحترام للخصوصية ويتضامن
الخارج لأن الشعار «معنا أو علينا» ويختفى الأعداء فاليد القوية كفيلة بسحق
من يتصدى لها «كرة اللهب» ربطت بين الجميع وفرضت إيقاعاً للحركة، حتى
إن سؤالاً حول الفاعل الحقيقي والأدلة التي تقدمها التحقيقات. هذا السؤال
قد توارى بعد قليل..»

من كتاب سفر الموت

تأليف أ. محمود المراغي

نشر: دار الشروق.

عهد ترومان عصر من الجرائم

ترومان

لقد تفوق ترومان على كل الشخصيات التي قامت بمذابح متعددة فهو لم يقوم بمذبحة واحدة ومنها القنبلة الذرية التي القاهها على اليابان بل كان لجهوده الفضل الأول في انشاء الكيان الإسرائيلي حتى أن حاخام إسرائيل الأكبر قال له لقد وضعك الله في رحم أمك لتعيد إنشاء إسرائيل وهكذا فجريمة إنشاء إسرائيل ممتدة بمرور الزمان فكل جريمة ترتكبها إسرائيل وما أكثرها ستلعب الأجيال ترومان الذي خلق هذه النكبة.

ترومان يضغط على إنجلترا لتقبل اللاجئين اليهود في فلسطين

قام ترومان لصالح الصهيونية بضغط على إنجلترا لتقبل مزيد من «اللاجئين» اليهود في فلسطين وأيد خطة التقسيم لدولة يهودية ودولة عربية ورتب قرض ماليا من بنك الاستيراد والتصدير للوكالة اليهودية ومع اقتراب موعد نهاية الانتداب الانجليزي ناشد ترومان العرب عدم الهجوم على الدولة اليهودية الجديدة وعين سفيرا في تل أبيب كان مشهوراً بتأييده لإسرائيل ووقف مندوبوا أمريكا دائماً وأبداً إلى جانب إسرائيل أثناء المناقشات حول خطوات وقف إطلاق النار في الأمم المتحدة لم تكتف أمريكا بزعامة ترومان بما سبق بل أقدمت وزارة الخارجية على استدعاء السفراء العرب واتهمتهم بالعدوان على إسرائيل وقدمت السلاح والعتاد والذخيرة والطائرات للكيان الإسرائيلي لا بل فتحت باب التطوع في الجيش الإسرائيلي كما انهالت

التبرعات على المنظمات الصهيونية في حمى لم يسبق لها مثيل يقول البعض أن ترومان لم يكن يعتقد في الصهيونية في البداية فقد قال لأحد الزعماء الديمقراطيين «لا أعتقد أن هناك وسيلة لإرضاء أصدقائك اليهود»، وقال الصديق آخر «لقد تلقيت بالبريد ٢٥ ألف منشور دعائي صهيوني فكومتها كلها وشعلت فيها النار، كما أن النفوذ الصهيوني بلغ حدا أن الحاخام الصهيوني الأمريكي أبا هليل سلفر ضرب بقبضته على طاولة ترومان ومن وقتها كرهه ولم يدعه أبداً يدخل البيت الأبيض.

علاقة ترومان بزعماء الصهيونية العالمية

كان ترومان على علاقة طيبة بزعماء الصهيونية العالمية مثل حاييم وايزمان وناحوم جولدمان هذا غير العديد من المستشارين اليهود مثل برنارد باروخ الذى كان يسمى قنصل يهوذا فى أمريكا وملك أمريكا غير المتوج هذا غير تركه الوزراء والمستشارين اليهود الذين تركهم روزفلت اليهودى وهم مورجانتو وبرانديس وفرانكفورتر الذى كان يدعى بأنه رئيس أمريكا كان هناك المعارضين للمشروع الصهيونى لأنه سيفتح المجال للنفوذ السوفياتى للتسلل للمنطقة العربية كما قد يخلق حاجزا يحول دون وصول أمريكا لأسواق تلك المنطقة كما أن قرار الاعتراف بإسرائيل يتناقض مع مبدأ حق تقرير المصير للفلسطينيين ولتبرير موقفه المنحاز لإسرائيل أجاب ترومان على المعارضة بقوله «أسف أيها السادة إذا أن على أن تجاوب مع رغبات مئات الآلاف من المواطنين الأمريكيين الذين ينتظرون نجاح الصهيونية فليس لدى بين الناهخين مئات الآلاف من العرب أى أنه يدعى أن ضغط الناهخين هو السبب فى هذا الموقف ولكنه فى الحقيقة شهوه البقاء فى الحكم كان ترومان قد أعلن فى بداية عام ١٩٤٧ معارضته لإنشاء دولة يهودية فى إسرائيل فنظمت حملة صحيفة عن المحرقة (المزعومة) لليهود فى عهد هتلر وعندما أصر ترومان على موقفه أرسل يهود ولاية نيوجرس رسالة له تقول «سياستك ازاء فلسطين تكلفك التأييد الذى أعطيناه لك) وعندئذ اضطر

لمخالفة معارضى الصهيونية وبدا في تأييد إسرائيل ولكن علينا عدم المبالغة في مسألة الانتخابات فمنذ دخول ترومان إلى البيت الأبيض نفذ قرار خطر دخول اليهود الذين ادعى البعض أنهم اضطهدوا في أوروبا وذلك لاجبارهم على الهجرة لإسرائيل وهذا بين تأييد ترومان للصهيونية منذ بداية عهده ولكنه كان يحاول ذر الرماد في عيون معارضى الصهيونية لأن ترومان انضم إلى السلك الماسونية والمعروف أن الهدف الأعظم للماسونية هو إعادة هيكلة سليمان وإعادة أمجاد الدولة اليهودية ولأنه صرح عدة مرات أن كتابه المفضل هو التلمود مع أنه يزعم أنه مسيحي ولأن التلمود يحض على قتل الصالح من غير اليهود أو من يقف في وجه مخططاتهم.

برنامج الصهيونية

كان فورستال أحد الوزراء الأمريكيين المعارضين للمشروع وقال فى مذكراته أن بايلز الصهيونى المستشار الإدارى لترومان وسام رزتمان وهو مستشار آخر كان المسئولين عن قرار الرئيس أن ديوى المرشح للحزب الديمقراطى على وشك الخروج ببيان يتعاطف مع موقف الصهيونية ومعنى عدم تحرك الرئيس فتضيق أصوات ولاية نيويورك يقول فورستال «لم تكن لى سلطة لصنع السياسة ولكنى اعتبرت نفسى مقصراً فى واجبى أن لم أوضح ما كنت أعتقد بأنه سيولد خطر على أمن هذا البلد وقد حاولت بذل جهدى لابعاد موضوع فلسطين عن السياسية أى توقيع اتفاقا بين الحزبين على عدم التنافس على الأصوات اليهودية ولكن روزفلت ومن بعده ترومان قال أن ذلك مستحيل لأن الأمة متورطة إلى حد كبير عندئذ قلت قد نخسر ولاية نيويورك وينسلفانيا وكاليفورنيا (أصوات اليهود) ولكن حان الوقت لنعطى بعض الاهتمام والتفكير فى احتمال أن نخسر أمريكا يقول فورستال «لقد تناولت الغذاء مع مستر باروخ (قنصل يهودا فى أمريكا ودكتاتور أمريكا) وقد وجه الحديث لى ناصحا بأن لا اعتنى كثيراً بمسألة فلسطين فقد أشارت لى أصابع الاتهام ولأنه يؤيد العرب «وأخذت تحاصرنى بشكل ليس فى صالحى» وقد أصيب فورستال بانهيار عصبى من الحملة الصهيونية الشرسة الموجهة ضده ثم قتل وكان الطبيب المشرف على علاجه يهودى رغم كل الضغوط ظل فورستال حتى اللحظة الأخيرة من حياته يحاول اقناع قادة الحزبين بحصر

الاهتمام في أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية وابعاد خطر تسرب السوفييات إليه دون التدخل في الأوضاع الداخلية ولأنه فشل حتى في اقناع المعتدلين من الحزبين وفي هذا تقول صحيفة واشنطن بوست «أن سياسة أمريكا (بزعامة ترومان تجاه فلسطين تأثرت كثيراً بنفوذ الصهيونية واللوبي اليهودي».

يقول جيمس ماكدونالد وهو من أشد المتحمسين للصهيونية ولهذا عينه ترومان أول سفير أمريكي في إسرائيل ولكنه هنا يقول كلمة حق «لم يكن فورستال عدوا لليهود أو لإسرائيل ولم يكن متأثراً بنفوذ شركات البترول (التي تتعامل مع العرب ولكنه اقترح أن قرار إقامة دولة يهودية لا يتفق مع مصالح أمريكا ومن المؤكد أنه لا يستحق أن تشن عليه هذه الحملات الخبيثة وهذه الحملات المعرصة استخدمت أحقر الوسائل باسم الوطنية للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا في عام ١٩٤٥ كان اقتناع فورستال يتجه إلى أن أصحاب المصارف الأمريكيين يشكلون نفيه جماعة واحدة مع أصحاب المصارف الماليين الذين يسيطرون على ماليات إنجلترا وفرنسا وغيرها (غالبيتهم يهود) واقتنع أن هؤلاء هم القادة الماسون وهم مسئولين مباشرة عن اشتعال الحريين العالميتين (وليس المانيا) وقد حاول اقناع روزفلت ومن بعده ترومان ومن الواضح أنه فشل في ذلك ثم اغتيل لاطباق فمه إلى الأبد وهكذا انتصرت الصهيونية على معارضيها بالارهاب ولم يتحرك ترومان.

الجرائم التي ارتكبتها الصهيونية

لقد عبث ترومان بشرفنا في بوتسدام فقد وافق على توسيع رقعة دولة بولندا التي قدمها روزفلت وتشرشل هدية أو لقمة سائفة لروسيا وهكذا ذهبت المصانع الألمانية لروسيا وعملائها ومن الجرائم التي ارتكبتها الصهيونية دس السم الجماعي للأسرى الألمان في الحراسة الأمريكية بعد نهاية الحرب وحدث هذا في مدينة نورمبرج في ابريل ١٩٤٦ وتسبب في وفاة ٤٣٠٠ المانى وأصابه ٥٥٠٠ بالشلل الدائم وخرست منظمات حقوق الانسان وقد قام بهذا العمل ٣ من الصهاينة وظلوا بلا عقاب وسكت ترومان اليس القتلة هم اليهود والمقتولين اعداءهم لقد قتلوا كما يقتل الخراف ولو مات يهودى واحد لقامت الدنيا ولم تقعد لم يكتف ترومان بهذه الجريمة بل كان هناك جريمة أكبر الا وهى الموافقة على عمل الأسرى الألمان في السخرة لدى السلطات السوفياتية لأى عدد من السنوات وفى ظروف صعبة سواء من ثلوج أو غيره وحدث هذا فى نفس الوقت التى كانت أجهزة الإعلام الأمريكية تتدد بالشيوعية وبالطفيان وبالستار الحديدي الذى فرضوه على أوربا فأين هى الانسانية.

العصر الذرى الجديد

فى الرابع عشر من يونيه سنة ١٩٤٦ افتتحت لجنة الطاقة الذرية بهيئة الأمم المتحدة أعمالها ومن الكلمات التى القيت عند افتتاح اللجنة لأعمالها كلمة برنارد - باروخ ممثل الولايات المتحدة فى اللجنة «إن خلف الأفق الأسود للعصر الذرى الجديد أمل قبضنا عليه بثقة وأمان فيمكنه أن يخلصنا وينقذ أرواحنا أما إذا فشلنا فإننا نكون قد حكمنا إلى الأبد على كل إنسان أن يصير عبداً للخوف أن العلم الذى أعطانا هذه القوة المميتة يبين لنا أنه يمكن تكيفها لتكون مساعدة هائلة للإنسانية ولكن العام لا يظهر لنا كيف نتجنب استعمالها الشرير وقائل هذه الكلمات هو باروخ وهو الذى أشار على ترومان باستخدام القنبلة الذرية والقائها على اليابان وقد كانت لجنة النشاط الذرى الأمريكى مكونة كلها من اليهود (ليلنتال - شترواس - باتشر - ويماك ويايك وكان الهدف الحقيقى فى رأى الا يكون هناك شعب أذكى من شعب الله المختار.

القنبلة الذرية الأولى

نجحت الولايات المتحدة الأمريكية فى اجراء أول اختبار عملى لسلاح مميت غير تقليدى فى ١٦ يوليو عام ١٩٤٥ ونجحت أمريكا فى تفجير القنبلة الذرية الأولى فى موقع التجارب فى مكان يسمى ترينيتى فى ينومكسيكو وثبت لها أن السلاح الجديد قابل ومعه للاستخدام وبعد هذا التاريخ باقل من شهر القيت قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما باليابان تلك المدينة الحزينة التمسعة التى لم تكن حتى ذلك التاريخ قدمتها الحرب فكأنما أراه الإنسان أن يدرس على الطبيعة التأثير المدمر لهذا السلاح الجديد الذى اخترعه مستخدما المخلوقات البشرية كحيوانات تجارب له ومستخدما بيئة عذرا لم يمسهما الصراع لكى يحصل على صورته كاملة لأثر القنبلة الجديدة غير التقليدية التى أنتجها فى معاملة.

الحرب النووية الأولى

لم تستغرق تلك الحرب النووية أكثر من ثلاثة أيام مدة قصيرة في معدل الزمن ولكنها كانت كافية لتوضيح القوة الرهيبة للسلاح الجديد كما كانت حريا من جانبها واحد فقط وهو الجانب الذي يملك السلاح النووي رمزا للقسوة والوحشية والهلع لا يمكن أن يصمد أمامه أحد خاصة وأنه في يد جانب واحد هو الذي صنعه واستخدمه في ثوانٍ احترق الآلاف الذين كانوا يسبغون في الشوارع والحدائق من جراء الحرارة الهائلة التي ولدها الانفجار بينما وقع الكثيرون على الأرض صارخين من الألم الناتج من الحروق الشديدة وتهدم كل شيء من منازل ومصانع وانتزعت القطارات من خطوطها الحديدية وارتفعت في الهواء كأنه لعب أطفال واختفت الأشجار في اللهب وكان انهيار المباني شبيهة بانهيار بيوت الكرتون كان هذا في القنبلة التي لقيت على هيروشيما في ٦ / ٨ / ١٩٤٥ ثم القيت قنبلة أخرى على نجازاكي في ٩ / ٨ / ١٩٤٥ بقرار من الطاعنة ترومان ولقي حتفه من هذا السلاح الرهيب ربع مليون مواطن هذا غير الجرحى والمشوهين والذين يولدون حتى الآن بعد ٥٠ سنة من القاء القنبلة مشوهين.

التسليم غير المشروط

فى ٢٦ يوليو عام ١٩٤٥ أصدر انذار إلى اليابان من الثلاثة الكبار يطلبون فيه التسليم ومضت ثلاثة أيام جاء بعدها رد رئيس الوزراء اليابانى الأميرال سوزوكى أنه يرفض الانذار الثلاثى بكل إباء ومع ذلك أبدت اليابان استعدادها للاشتراك فى مباحثات سلام لانتهاء الحرب على شرط أن تحتفظ اليابان بكل الأراضى التى استولت عليها وأن تحصل على تأكيدات من الحلفاء أن يحتفظ الامبراطور بعرشه ورفض الحلفاء شروط اليابان وأصروا على أن يكون تسليم اليابان تسليما غير مشروط وقد كان هنرى سمسون وزير الحربية وجرو وزير الخارجية يضغطان على ترومان ليعلن أن استسلام اليابان خاضع للمفاوضات وليس دون قيودا وشرط والابقاء على النظام الامبراطورى لكنه رفض بسبب مستشاريه اليهود وقد كان الاسطول الأمريكى يضرب الموانى والمصانع اليابانية كانت آتية ولم يكن هناك داع لإلقاء القنبلة ولكن ترومان كان يدعو اليابان للاستسلام دون قيودا وشرط على أن تحرم اليابان من جميع ممتلكاتها بالخارج وأن قادة اليابان سيحاكمون ويعاقبون وهكذا أصدر الحكم قبل الإدانة فلم يكن أمام اليابان سوى الاستمرار فى الحرب مع معرفتها بالهزيمة . من العسير على أى قائد عسكرى أن يأتى بتبرير لحادث القاء القنبلة الذرية حيث قتل ربع مليون فى غمضة عين وأصيب ما يقرب من ضعف هذا العدد بجراح خطيرة فقد كانت القوات اليابانية قد هزمت وكانت قضية التسليم مسألة أيام ولم يكن هناك

أى داع لتنفيذ مثل هذا العمل الجهنمى والتعليل المنطقي هو أن القوى اليهودية الخفية قررت استعراض هذا السلاح الحديث لتذكير ستالين بما يمكن أن يحدث إذا ما تمادى فى مطالبه وهذا هو العذر الوحيد وهو لا يشكل ولا حتى شبه تبريد لهذه الجريمة الشنعاء التى ارتكبت ضد الانسانية.

مبدأ ترومان

فى ١٢ مارس ١٩٤٧ تقدم ترومان بما عرف بمبدأ ترومان ويقضى بتقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية لتركيا واليونان ولكل دولة أخرى تتصدى للعدوان الشيوعى، وأعلن أمام الكونجرس أن على أمريكا أن تقدم كل عون للشعوب الحرة التى تتصدى لكل محاولة من جانب أقلية مسلحة لاختضاعها أو أى ضغط خارجى عليها ترى فمن هو الذى يحدد الشعب الحر ومن الذى يحدد أن هناك ضغط على هذا الشعب الحرانى المسألة لا تخضع إلا لرغبة ترومان ورؤساء أمريكا ومن يسبقونهم من خلف ستار.

لا للمعونة

أعلنت أمريكا عن مشروع مارشال وهو مد الدول التي خرجت من الحرب بمجموعة من القروض حتى تنهض من عثرتها ولكن الكثيرون في أوربا فهموا هذه الخدعة فرفعوا شعار التجارة لا للمعونة وهي تعنى أن توجه المساعدة للمصانع والمنتجات الأوربية وليس للاستهلاك حتى لا تظل أوربا سوقاً لأمريكا ولكن رفضت وحتى بعد أن تمكنت أوروبا من النهوض بقي كيان أوربا الاقتصادية قائم في براثن الشركات القابضة والاتحادات الاحتكارية (ترست) واتحادات المنتجين (كارتل) وهي الشركات المتعددة للجنسية عابرة القارات اليهودية هذه الشركات الاحتكارية أي التي تحتكر كل منها واحدة وتبيعها بالسعر الذي تراه في كل العالم تنقسم لشركات ومصانع السلاح اليهودية وشركات تباع المواد الخام التي تساعد في إنتاج السلاح كالألومنيوم للطائرات والحديد للدبابات هذه الشركات لا تسمح لأحد أن ينفذها في أجهزة الاعلام والافالويل له ويصل نفوذها لتعيين رئيس الجمهورية أو غالباً ما يكون أحد رجالها فإذا حاول القضاء على نفوذها لقي حتفه على الفور كما حدث لكيندي مثلاً هذه الشركات اليهودية كانت من الأسباب الأولى لإشتعال الحرب العالمية الثانية حتى تحصل على أوامر توريد من الحكومة الأمريكية تزيد عن المعدل العادي وخصوصاً شركات البترول بزعامة شركة ستاندارد اويل بزعامة روكفلر اليهودي وحقت هذه الشركات أرباح خيالية على حساب دماء الشعوب بعد خمس سنوات ونصف من سفك الدماء انتهت الحرب وكان لابد من اشتعال حروب أخرى والا تعرضت البلاد للكساد وسرح العمال وانتشرت البطالة وأغلقت المصانع فالالاقتصاد الأمريكي يقوم على اشغال الحروب ومن هنا كان الموقف الأمريكي المتصلب بزعامة ترومان ١٩٤٨ في أزمة برلين ضد الاتحاد السوفياتي وكان مشروع مارشال الذي يقتضى ارسال منتجات.

حرب الخليج الثانية

حرب أرادتها أمريكا، وخططت لها

أمريكا أرادت حرب الخليج ودبرتها ونفذتها وكانت صاحبة المصلحة الكبرى فيها والمستفيد الأول من نتائجها وتعالوا سنتعرض ما استهدفته أمريكا وكيف نجح بوش في تنفيذ هذه الأهداف وتحقيق السيطرة وجنى المكاسب على جميع الجهات ولنبدأ بأبسط المنجزات وأقلها أهمية في السيناريو العالمى الأهداف وتعنى الربح الذى حققته الولايات المتحدة بتصدير أزمته الاقتصادية حل هذه الأزمة أو على الأقل تخفيف حدتها بالأسلوب التقليدى وهو الحرب فقبل انتهاء الحرب كانت واشنطن قد فرضت جزية على دول العالم جمعت بها ثلاثة وأربعين ألف وثمانمائة مليون دولار وهو ما ستحصل عليه الولايات المتحدة من تبرعات ومساعدات الدول الحليفة والدول المرغمة ثمناً لتدمير الكويت والعراق ستدفع السعودية والكويت منها أكثر من ثلاثين بليون دولار وفى نفس الوقت بقدر أن تحصل الولايات المتحدة على أكثر من مائة بليون دولار فى أقل تقدير من نفقات إعادة بناء ما دمرته قواتها وقوات صدام فى الكويت وحدها وهكذا تكون الولايات المتحدة قد قدمت أبشع صورة للنظام الرأسمالى صورة وحشية لم تخطر ببال ماركس ولا اقترحها كاتب شيوعى فى أعنف سنوات النقد للرأسمالية صورة الرأسمالية التى تستخدم الدولة فى شن حرب هى فى الحقيقة مقالة بتدمير دولة وإعادة بنائها لحساب الشركات التى توجه سياسة الدولة الكبرى

المتآمرة «لا نستطيع أن نعرف مدى مساهمة الحرب في انتعاش الاقتصاد الأمريكي ولكن من المعتقد أن نسبة كبيرة من هذا الانتعاش تعود لهذه الحرب «في العراق والكويت تمت أسرع عملية تدمير اقتصاد في التاريخ ففي أسابيع قليلة تحول إلى دخان جهد وانتاج ملايين الساعات من العمل الإنساني وستمر سنوات قبل أن يعود العراقيون والكويتيون الذين سيكتب لهم البقاء إلى مستوى معيشتهم السابق على الحرب لقد أعادت هذه الحرب المقولة القديمة عن خلق فرص عمل بتشغيل الناس في عمل حفرة ثم إعادة ردمها ولكنه مجرد عمل لا انتاج فيه ومع ذلك فإن إعادة البناء ستنشط رجال الأعمال الذين سيحصلون على العقود».

وهذه صورة مخففة جداً بل ومزورة لما حدث فعندما اقترح روزفلت في أزمة الرأسمالية العالمية تشغيل العاطلين وحل الأزمة بما وصف وقتها بأنه يشبه تكليف بعض العمال بعمل حفرة وتكليف البعض بردمها ورغم الصورة الهزلية التي بدا فيها الحل الرأسمالي في هذا التشبيه إلا أنه لم يكن هناك قتلى وأجرحى ولا اقتصاد وحضارة تدمر ولا جهد شعب يحرق في ساعات ومن المؤلم أن تكثر أمريكا عن الوجه البشع للرأسمالية في نفس اللحظة التي كان العالم يعيش فيها أحلام العالم الجديد وإنهاء التاريخ وسقوط الشيوعي القبيح وبزوغ شمس الحرية على شرق أوروبا لأول مرة منذ نصف القرن وما نسج حول انهيار النظام السوفيتي من آمال مثل قيام صيغة جديدة للعلاقات الدولية تحل محل أساليب الحرب الباردة فإذا بحكومة الرئيس «بوش» تعيد العالم إلى صيغة القرن التاسع عشر في أقبح صوره فالنظام الأمريكي كان يواجه انكماشاً خطيراً يميل نحو كارثة اقتصادية من طراز الأزمة العالمية لعام ١٩٢٩ بحيث أصبح توقع حدوثها هو الخبر الدائم في النشرات الاقتصادية والندوات التي تحاول استقراء المستقبل الاقتصادي الأمريكي وانكماش الاقتصاد الأمريكي له أسبابه المعقدة من الدورة العادية للنظام

الرأسمالى ما بين التوسع والانكماش إلى الافقار المتزايد للعالم الثالث برفع سعر البضاعة المصنعة وخفض أسعار الخامات حتى أصبحت نسبة التبادل غير عادلة وغير كافية لاستمرار الدول المصدرة للخامات كعنصر اقتصادى فعال فى السوق العالمية ثم جاءت الديون التى قسمت ظهر هذه الدول وقضت على أى أمل فى تحقيقها لنمو اقتصادى يكفى لاطعام شعوبها وبإمتصاص دخل هذه الدول فى أقساط الديون والفوائد خرجت أو كادت من السوق العالمية وأدى عجزها عن تسديد هذه الديون الفاحشة الربا والشروط إلى زعزعة النظام المصرفى الأمريكى الذى لم يفقد فقط مكانته كرائد ومركز عالمى لسوق المال بل أصبح رجل العالم الرأسمالى المريض أو الحائط المتداعى الذى يرقب الجميع انهياره بفزع وقد استغل أكبر بنك فى أمريكا فرصة الحرب ووجود نصف مليون عسكرى فى الخليج ليحصل على اسعاف نقدى ينقذه من أزمة سيولة مهددة وجاء الإنقاذ فى نصف مليار دولار تطوع بها أمير سعودى من الجيل الثالث ودفع أكبر بنك أمريكى للأمير فائدة جديدة بينك مكسيكى (١١٪ بينما الفائدة فى السوق ٦٪) ومتاعب النظام المصرفى الأمريكى أثرت بدورها فى الاستثمارات والتمويل الضرورى للنشاط الاقتصادى وزاد الطين بله الهجمة الشرسة التى قام بها اليمين الأمريكى فى عهد ريغان عندما الفى كل القوانين والضوابط التى وضعت فى عصر الانتصارات الليبرالية فى الخمسينات والستينات والتسعينات فعمدت الاحتكارات الأمريكية وسرقت أموال صفار الموزعين فى بنوك الإدخار والتسليف مما أدى إلى انكماش الإدخار وتدهور معدل الاستثمار وقبل ذلك كله بل وأهم من ذلك كله «أنه نتيجة المركز الاحتكارى للصناعة الأمريكية ويسبب من الانفاق العسكرى المهلك فإن الصناعة الأمريكية خسرت سباق التحديث وبالتالي «سباق الأسواق» مع اليابان والمانيا اللتين يحرم دستورهما الذى كتب تحت اسنه الحراب الأمريكية امتلاك جيش أو الانفاق العسكرى بالمستويات الأمريكية والروسية أو حتى البريطانية والفرنسية وهكذا فالبلدان

اللذان لا يملكان جيشاً ولا مستعمرات كان عليهما أن يدافعا عن وجودهما بالقتال في ساحة التكنولوجيا واتقان الانتاج فتفوقا وغزوا أمريكا في عقر دارها وأصبحنا نسمع صيحات الكونجرس تطالب بالحماية للصناعة الأمريكية من خطر المنافسة اليابانية بل وعدنا لمناخ الحرب العالمية الثانية عندما كان شبح العملاق الياباني هو الخطر الأكبر على المصالح الأمريكية وقد أجرت مؤسسة «جالوب استفتاء في الأسبوع الأول من مارس ٩١ حول من يشكل أكبر تهديد للولايات المتحدة فقال ستون بالمائة اليابان ومع الهزيمة الصناعية أمام المانيا واليابان تعالت الأصوات في أمريكا ضد الصيفة التي يدار بها الاقتصاد الأمريكي وتركز الهجوم على المؤسسة العسكرية التي وصلت ميزانيتها إلى ٣٠٠ مليار دولار وانتشرت الاتهامات لهذه المؤسسة بالرشوة والفساد وسمعنا احاديث عن مسمار يشتريه البنتاجون بعشرة دولارات وثمانه أقل من دولار وكراس المراهيخ التي تتكلف أغلى مما تتكلفه في الدرجة الأولى لشركات الطيران العالمية وأسلحة مشكوك في جدواها ولم تستعمل قط، تتكلف الملايين وهذه المبالغ كما يقول الناس تقتسم بين الاحتكارات الصناعية والبيروقراطية العسكرية وجاء انتهاء الحرب الباردة يلقي مزيداً من الوقود في نار الهجوم على المؤسسة العسكرية من الذين يطالبون بتوجيهه جانب ضخم في ميزانيتها للانفاق المدني سواء يعيشون تحت مستوى الفقر ومئات الألوف الذين يعيشون في الطرقات كالسائمة بلا مأوى في المجتمع الأمريكي العظيم وقد أبرزت نهاية الحرب الباردة مشاكل عوده الوف الجنود من أوربا وحتمية تسريح عشرات الألوف من القوات الأمريكية في أمريكا ذاتها وما يستلزمه خفض الانفاق العسكري من تقليص انتاج السلاح وبالتالي مزيد من تسريح العمال وكل هؤلاء سيقذف بهم إلى سوق البطالة المشبعة بالفعل بالعاطلين (الانكماش الاقتصادي الفئ مليون ونصف وظيفة منذ الصيف فقط إلى إبريل ١٩٩١ ولنذكر أن إحدى أهم المشاكل للاقتصاد السوفيتي هي مشكلة الجنود المسرحين إذا قيل أن تحويل

الجندي إلى مدنى يتكلف خمسين ألف روبل وهو ما لا يطيقه الاتحاد السوفيتى ولا بد أن الرقم فى أمريكا أكبر من ذلك بكثير والرأسمالية تعرف ماذا تعمل البطالة من مخاطر ومن ثم فالرفض المفاجئ للانفاق العسكرية يهدد الصناعة الأمريكية كلها بل وربما يهدد لأول مرة السيطرة المطلقة للاحتكارات الأمريكية التى فاحت فضائحتها والتى لو تأخر انهيار الشيوعية لخمس سنوات فربما شلت أمريكا الثورة الاشتراكية الموعودة بعد أن ثبت أن هذه الطبقة فقدت القدرة على المنافسة والتجديد مع فقدانها حتى الشرف بصفقات البنتاجون ونهب صناديق الادخار والتسليف وكان الحل هو تصدير الأزمة شحن الجنود للخليج وتحميل دول الخليج وأوربا واليابان نفقات تشغيلها واستمرار انتاج السلاح فحتى القاذفة ب ٥٢ التى كان قد تقرر اطلاق رصاصه الرحمة عليها عادت لخطوط الانتاج ومن ثم فوضع القوات الأمريكية فى الخليج هو الأفضل اقتصادياً وسياسياً واستمرار انتاج السلاح. ولا توجد حملة بهذا الحجم فى التاريخ دفعت نفقاتها بالكامل من تمويل خارجى ومنعه وليست قرضاً فكما قيل هذه الحرب لم تمول بطبع الدولارات كما حدث فى فيتنام مما أدى إلى هبوط الدولار من على عرشه وخروج أمريكا عن قاعدة الذهب بل مولها الآخرون فليس لدى دافع الضرائب الأمريكى ما يشكو منه بل على العكس. فالمنتفع الأكبر من جريمة تدمير الكويت والعراق هو الولايات المتحدة الأمريكية التى اغتصبت سبعين بالمائة من العمليات وثمان تعمير الكويت وبعدها مباشرة تأتى بريطانيا التى لم تدخر حياء ولا كرامة إلا أهدرتهما للحصول على عشرين بالمائة من الصفقة وبالمصادفة فإن الدولتين هما الأضعف اقتصادياً بين الدول الصناعية الكبرى فهما فى ذيل القائمة التى تصدرها المانيا واليابان ولكن أمريكا على يد جورباتشوف أصبحت أمريكا وفى ذيلها بريطانيا مطلقة السراح كأكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ بلا منازع أو مقاوم وقد شهدت «التايم» أنه لو كان الاتحاد السوفيتى فى مركزه القديم لما أمكن أن تنفذ

الولايات المتحدة استراتيجيتها في «تحرير» الكويت (ونضيف) و «تدميرها» أن النصر لم يكن ممكناً بهذه الصورة لو كان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مازالا يتنافسان في كل مكان أو قضية في العالم فلو كان «الكرملين» قد حافظ على سياسته القديمة بالتهديد بالتدخل لحساب صدام بما تبقى من قوته العسكرية الجبارة فلربما كانت الكويت الآن منزوعة السلاح الدولتان الأضعف اقتصادياً استخدمتا قوتهما العسكرية في انتزاع حصة من الثورة الخليجية لا تتناسب مع قدراتهما الاقتصادية وبذلك وضعنا بذور الحرب العالمية الثالثة.

من المتوحش؟

«إنهم يفعلون ما يحلو لهم، يستعبدون كل من ليس من لونهم. يريدون أن يجعلوا منا عبيداً، وحين لا يتحقق لهم ذلك يقتلوننا. إياك أن تثق بكلماتهم أو وعودهم. إنها أحابيل، صدقنى، فانا أعرف سكاكينهم الطويلة جيداً».

باشفتاكيلياس، زعيم هنود دولاوير، ١٧٨٧

فى كتابه عن نظريات الاستعمار الإنجليزية، يمتد كلاس كنور أن الإنجليز أكثر القوى الاستعمارية الأوروبية ممارسة وتعهداً للإبادة، وأن هدفهم النهائى فى العالم الجديد كما فى أستراليا ونيوزيلاندة وكثير من المناطق التى يجتاحونها هو إفراغ الأرض من أهلها وتملكها ووضع اليد على ثرواتها. خلال هذه المسيرة التى بدأت بإيرلندا ولم تنته بعد، تحكمت عقدة الاختيار الإلهى والتفوق العرقى بسلوكهم وبنادقهم، واستحوذت على أخلاقهم وعقولهم، ثم استعمرتهم بنظام متكامل من الذهان الهذائى Paranoiac انتهى بهم إلى تأليه الذات God is an Englishman. وهذا ما أوهمهم بأنهم يملكون حق تقرير الحياة والموت لكل من عداهم، وأنهم أيضاً فى حل من أى التزام إنسانى أو قانونى تجاه الشعوب التى يستعمرونها، لا باعتبار أنها أعراق منحلة وحسب بل لأنها فى الغالب مخلوقات متوحشة لا تنتمى للنوع الإنسانى.

ولم ينج من هذا التصنيف البيولوجى أقرب الناس إليهم، وجيرانهم فى الجزيرة، وشركاؤهم فى البياض والنضارة. فلطالما لازمت الإيرلنديين صفة التوحش wild Irish وقالوا عنهم إنهم

«يعبدون الشيطان، وإنهم أجلاف، عراة، أحلاس الغابات والمستنقعات، يمشون على نوع من الأعشاب، ويأكلون فى المناسبات الخاصة من لحم البشر أو من لحم أمهاتهم اللواتى كانت لهن أذنان طويلة وكن متوحشات يأكلن أطفالهن».

والواقع أن التجربة الإنجليزية مع «المتوحشين» الإيرلنديين تكررت مع

كل الشعوب التي اجتاحتها، بدءاً بالهنود والعرب وانتهاءً باليابانيين والفيتناميين. إن قراءة تاريخ الإجتياح الإنجليزي لإيرلندا تساعد على وضع معجم سيمفوني لطبقات «الوحشية» التي واجهها الإنجليز في حملاتهم المختلفة لنشر الحضارة، وتفسر الفروقات الإيقاعية المرهفة التي تفرضها طبيعة «المجاهل» على استخدام هذا السلم الموسيقي العرقي. صحيح أن الإنجليز قضوا على نسبة كبيرة من سكان أيرلندا، ونهبوا كل ثروتها «النفطية» بتعمرية غاباتها سجرة شجرة، وتركوا فيها سجلاً حافلاً من المذابح والفضاعات، لكن ذلك لا يخفى براءة الإنجليز في دوزنة فضاعاتهم ومذابحهم وفقاً لتصنيفاتهم العرقية. وبدون التقليل من هول ما تعرض له الشعب الإيرلندي فإن «ما ارتكبه الأوروبيون بحق الأوروبيين في حروبهم واجتياحاتهم. مقارنة بما ارتكبوه في العالم الجديد. لم يكن أكثر من «شجار عائلي» كما يقول فرانز فانون. ففي أيرلندا نفسها حاول الإنجليز خلال حملتهم الاستعمارية عليها أن يميزوا بين «وحشيتين» مختلفتين لأسباب عرقية: إحداهما متأصلة في الإيرلنديين الغيليين Gael الأقحاح، والثانية مكتسبة أصابت ما يسمى «الإنجليز القدامى Old English»، بحكم معاشتهم الطويلة للإيرلنديين المتوحشين وقد أحكموا ارتكاب فضاعتهم وفقاً لهذا التصنيف ببراءة لا يجاريهم فيها متحضر.

أما سكان العالم الجديد الذين لم يشاركوا الإنجليز في اللون واللسان والأرض والدين، فقد كان من المستحيل على نظام الهذيان (بعد أن باركته السماء) أن يساوم على تفوقه العرقي أو يلتزم بحد أدنى من الأخلاق أو المشاعر الإنسانية تجاه ضحاياه. منذ البداية كان هناك نوع من السيكلوجيا الاستعمارية التي أعطت مرضاها سيف «الجلاد المقدس». كانت قصص اجتياح كنعان في العهد القديم تمدهم بالأسس الأخلاقية اللازمة لتماسك هذه السيكلوجيا الاستعمارية ولتبرير عنصريتها وعنفها المميت. لم يكونوا واثقين إلا من شئ واحد: أن الله فضلهم واصطفاهم على العالمين وأعطاهم الأرض وحق تقرير الحياة والموت والرزق لكل من يعيش فوق هذه الأرض.

هكذا حمل شعب الله سيف «الجلاد المقدس» ولم يساوره الشك في أن الإبادات لم تكن إلا تدبيراً إلهياً مباركاً ورسالة في المجاهر errand into the wilderness عهدا الله إليهم. لقد كان من الشروط الأولية اللازمة للإبادة الجماعية التي ارتكبتها الاسبان والأنكلو- أميركان ضد الهنود، التأكيد على لا إنسانيتهم وعلى أنهم بالوراثة كائنات منحطة. وكان الاسبان أكثر تواضعاً حين قالوا إن الهنود «عبيد بالطبيعة»، ذلك لأنهم لم يكونوا يطمحون إلى أكثر من استعباد الهنود وسرقتهم. أما القديسون الإنجليز فكانوا يتطلعون إلى ما هو أسوأ من الاستعباد ويطمحون إلى الاستيلاء على الأرض واستبدال أهلها وثقافتها أو ما يسمونه بنشر الحضارة. لهذا ترجموا كتابات العنصريين الاسبان مثل «غونزالو فرنانديس أوفيدوي فالديس» و «فرانسيسكو لوبيير دوغامارا»، وعفوا أو تلكأوا في ترجمة المنصفين مثل «بارتولومه دو لاسكازاس». وتقول عالمة الإنسانية مرغريت هـدجن إن أول كتاب إنجليزي عن الهنود نشر في عام ١٥١١ «وصفهم بالوحوش التي لا تعقل ولا تفكر وتاكل بعضها، بل إنهم كانوا يأكلون أبناءهم وزوجاتهم». وكان عامة الإنجليز يؤمنون بوجود كائنات نصفها بشر ونصفها وحش. وكالمادة فقد سكنت هذه الكائنات معظم الأعمال الفلسفية الإنجليزية والأوروبية في تلك الفترة وشاعت في الأعمال الأدبية. وكان اليسوعي جوزيف فرانسوا لافيتو Joseph Francois Lafitau في كتابه عن عادات الهنود الأمريكيين قد تحدث عن وجود «كائن هندي بدون رأس، لكن له وجهاً في صدره»! وقد أطلق عليه اسماً أسطورياً Acephal. لهذا لم يكن مستغرباً إيمان عامة الإنجليز في تلك الفترة بأن لكثير من هنود أمريكا أظلالاً وأشكالاً شيطانية. وهي أشكال نمثر عليها في كتابات معظم أنبياء الاستعمار الأوائل الذين اختلط عليهم شكل الكتمانى التاريخى الملمون بشكل الوحش الهندى المنحط فى صورة أوفيدىة ممسوخة ليس لها وجود إلا فى مخيلاتهم. وكان أوليفر هولمز وهو من أشهر أطباء عصره، قد لاحظ فى عام ١٨٥٥ أن إبادة الهنود هو الحل الضرورى للحيلولة دون تلوث المرق الأبيض، وأن اصطليادهم اصطلياد الوحوش فى الغابات مهمة أخلاقية لازمة

لكى يبقى الإنسان فعلاً على صورة الله.

هكذا بدأت دعوات الإبادة الشاملة تعلو عندما لم يكن فى كل الشمال الأمريكى سوى ألفى إنجليزى. ثم ازدادت هذه الدعوة حدة وجنونا حين تأكد الإنجليز أن الهنود قد يرحبون بهم ضيوفاً ويكرمونه بما يكفيهم من الأرض والرزق ويميشون معهم بسلام، لكنهم لن يتنازلوا طوعاً عن أراضيهم، ولم يتقبلوا فكرة السخرة والاستعباد. وكانت كل بادرة لمقاومة هذا الجشع والتعصب المقدس برهاناً إضافياً على صدق أسطورة أمريكا وعلى صدق الدعوى بأن الهنود متوحشون عدوانيون لا تنفع معهم إلا الإبادة. إن التسامح مع الشرير ليس إلا تشجيعاً للشر، وليست هناك خطيئة أعظم من هذا. ومع تقدم الزمن صارت شيطانية الهندي الأحمر بديهية لا تحتاج إلى دليل مثلما أن إنجليزية الله وتفوق شعبه من البديهيات التى لا تحتاج إلى دليل. لقد سكنت شيطانية الهنود أحلام الملائكة حتى إن ميرسى شورت Mercy Short التى زعمت أن الشيطان تلبسها وصفته على شكل هندي له أظلاف شيطانية. إن هذا الشيطان الهندي هو الكابوس الذى يقض مضجع الزنابير.

قبل مذبحة «ووندد نى» Wounded Knee، الشهيرة بأيام كتب فرانك باوم فى صحيفته The Aberdeen Saturday Pioneer، ولم تكن عبقريته القصصية قد تفتحت بعد، يدعو إلى الإبادة الشاملة لمن تبقى من الهنود:

«إن أصحاب البشرة الحمراء قد أبعدوا، ولم يبق منهم إلا مجموعة صغيرة من كلاب هجينة تمض اليد التى تطعمها ولا تتوقف عن النباح. أما البيض فإنهم يحكم القلب ويقضاء الحضارة أسياذ القارة الأمريكية، وإن أفضل أمن لمستوطنات الثفور يجب أن يتحقق بالإبادة الكاملة لهذه البقية الباقية من الهنود.. إن موت هؤلاء الأشقياء خير لهم من الحياة».

وكانت هذه البارانويا العنصرية هى التعبير الصادق عن مزاج الزنابير

فى نهاية القرن التاسع عشر. فبعد أيام قليلة ارتكبوا مذبة «وونددنى» التى قتل فيها المئات من رجال شعب لاکوتا ونسائهم وأطفالهم بالقصف العنيف. أما الناجون فقد تعقبوهم وقتلوهم إنساناً إنساناً لا شئ سوى أن بشرتهم حمراء ودمهم هندى وأرضهم كنعانية طيبة. وكتب شاهد عيان، وهو طبيب أديب نصف عندى يدعى شارل ايستمن (أو هى بيسا Ohiyesa):

«على بعد ثلاثة أميال من مكان المذبة وجدنا جثة امرأة مدفونة تحت الثلج. وانطلاقاً من تلك النقطة تناثرت الجثث على طول الطريق وكأنها طوردت واصطيدت وذبحت بعزم وتصميم فيما كانت تحاول أن تتجو بأرواحها. بعض من معنا اكتشف بعض أهله أو أصدقائه بين القتلى، وكان هناك ندب ونواح يملأ الأرض. وحين وصلنا إلى حيث كان المخيم الهندى وجدنا بين بقايا الخيام والأمتعة المحترقة جثثاً متجمدة تتلاصق هنا فى صفوف أو تتراكم هناك فوق بعضها فى أكوام... ولم أستطع أن احتفظ بريابطة جاشى بسهولة أمام هذا المشهد الذى ألفت كل أعصابى وأمام ذلك الحزن العميق الذى طفى على كل من معى من الرفاق بين من يجهش فى بكائه أو يتلو نشيد موته».

ويضيف عالم الإنسانيات جيمس مونى:

«تحت ركام الثلج، كان هناك نساء على قيد الحياة، لكنهم تركوهن للموت البطئ، وكذلك حال الأطفال الرضع المقمطين والمرميين إلى جانب أمهاتهم... كانت جثث النساء متناثرة فوق محيط القرية. وتحت علم الهدنة كانت هناك امرأة صريعة ومعها طفلها. لم يكن الطفل يعرف أن أمة ميتة، ولهذا فقد كان يرضع من ثديها. وبعد أن قتل معظم من فى القرية أعلن الجنود أنهم يضمنون سلامة الجرحى أو كل من بقى على قيد الحياة إذا ظهروا. وخرج بعض الأطفال من مخابثهم، لكن الجنود أحاطوا بهم وذبحوهم. لقد كان واضحاً أن تعمد قتل الأطفال والنساء هو لجعل مستقبل الهنود مستحيلاً».

فى اليوم الرابع للمذبحة كتب باوم مزهواً بنشوة الانتصار:
«لقد فعلنا حسناً. ويجب علينا أن نتابع المسيرة لحماية حضارتنا... إن
علينا أن نقطع دابر هذه المخلوقات الوحشية ونمحو ذكرهم من على وجه
الأرض».

كل شهادات المستعمرين الأوائل كانت تسخر من مفهوم الحرب عند
الهنود لافتقارها إلى عنصرين أساسيين فى الثقافة الحربية الكلاسيكية:
القتل، والتوسع فى الأرض. ولأنها أشبه بمهرجانات لاستعراض الشجاعة
والبطولة والمهارات وليس لاستعراض الجثث. أول ما لاحظته المستعمرون أن.

«حروب الهنود كانت للتسلية والرياضة البدنية وليست لإخضاع
الخصم. فقد يتحاربون سبع سنين دون أن يسقط بينهم سبعة قتلى. إنهم
يقاتلون فى السهول بالقفز والرقص، وعندما يجرح واحد منهم يتوقف
الطرفان عن القتال وينكب المتحاربون جميعاً على إسعاف الجريح».

ولاشك فى أن هذه الثقافة الحربية المختلفة التى لا تؤمن بالعنف
المنظم كانت مقتلأ من مقاتل الطالبيين الهنود وحجر زاوية فى حرب الإبادة
التى تنتمى إلى ثقافة وأخلاق مختلفتين تماماً. عندما أعلن كورتيس للهنود
أنه جاء إليهم فى مهمة سلمية صدقوه ورحبوا بهذا الفازى الدموى وفتحوا له
دورهم وقصورهم ومناجم ذهبهم. فمن قواعد الحرب بين الهنود أن إعلان
السلام لا يعنى شيئاً غير السلام. ومن هذا المنطق اطمأن الهنود إلى أن
كورتيس جاء فعلاً فى مهمة سلام. إنهم لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا يعلن
الأوروبى شيئاً ولا يتقيد به، ولماذا يقول قولاً ولا يفعله، ولماذا يوقع اتفاقية ثم
يخرقها فى أقرب فرصة ممكنة. ولعل هذا ما تعبر عنه هذه الكلمة البريئة
التى ألقاها أحد هنود لونابه Lenape أمام أحد المستعمرين الإنجليز:

«إننا نريد أن نعيش معكم بسلام كما عشنا مع غيركم من الشعوب. لو

أننا فكرنا في أن نحاريكم يوماً فإننا سنعلمكم بذلك سلفاً، وسنبين لكم الأسباب التي نريد أن نحاريكم من أجلها. فإذا أبديتُم ما يقنعنا أو يعضنا عن الأضرار التي سنحاريكم من أجلها فإننا لن نحاريكم. وإذا أردتم أن تحاربونا يوماً فنرجو أن تعلمونا بذلك وتبينوا لنا الأسباب، فإذا لم نقنعكم أو نعوضكم عن الأضرار التي ستحاربون من أجلها فلکم الحق في محاربتنا.. وإلا فليس لكم أن تحاربونا.

لم يستطع الهندي أن يفهم دوافع الحرب التي يشنها الأوروبي والعنف المميت الذي يمارسه والفظاعات التي تواكب حروبه. لم يستطع أن يفك الغاز تقديسه للملكية وهو سه باغتصابها من الآخرين. إن نظام قيمه لا يعنى بالتراكم المادى ولا تستهويه «ثروة الأمم» التي ألهمت خيال الإنجليزى وبندهيته، وجعلت الملكية في عينى مارتن لوثر معياراً للتفريق بين الإنسان والحيوان! هلاً رأى نبى وول ستريت بأى ماء تسيج الضباع أطيانها؟ الحرب الهندية على ندرتها لا تعلن إلا بسبب إهانة شخصية أو حوادث فردية. ولطالما أمكن تقاديتها بالتمويض أو الاعتذار أو الدية. أبداً لم يزعم الهنود باحتكار الحقيقة المطلقة؛ هذا الوياء المقدس الذى ألهم طقس العنف فى أتباع كل الديانات التوحيدية. أبداً لم يعرف تاريخ الهنود سماء مركبتلية تتاجر بالمبيد وتعد هذا بأرض ذاك. أبداً لم يكن الفوز أو الاجتياح أو الاحتلال من أخلاقهم. «كل هذا غريب عن ثقافتهم».

فى دراسة ميدانية لهنود السهول الذين صورتهم هوليود وكل روايات التاريخ المنتصر مثلاً أعلى للعنف والعدوان يقول الأنثروبولوجى جورج غرينل: «بين هنود السهول الذين أعرفهم جيداً يعتبر لمس العدو من أشنع أنواع التعبير عن العدوانية. أن تقوم بضرب العدو دون أن تؤذيه عمل من أعمال الفروسية. إن من مظاهر الشجاعة وتقاليدها أن يمضى الرجل إلى الحرب وليس فى يده سلاح يؤذى عدوه من بعيد، فحمل الرمح أكثر شجاعة وفروسية من حمل السهام، وحمل البلطة القصيرة أولى من حمل الرمح. أما

أعظم مظاهر الشجاعة فأن تسعى إلى الهيجا بدون سلاح».

ويروى ستانلى دايموند فى دراسته المقارنة عن «البداية والحضارة» أن قتل الإنسان عند الهنود كان حدثاً تاريخياً، وأن حروبهم كانت تشبه الأعمال المسرحية. ومهما كانت طبيعة هذا الحدث التاريخى الذى يستوجب قتل الإنسان فإنه كان يخضع لطقس مشخص شديد التعقيد. لقد كانوا يقدسون حياة النساء والأطفال ويعتبرون الاعتداء عليها وصمة عار فى جبين المحارب. وهذا ما جعل حرب الإبادة الإنجليزية نزهة فى رياض الطبيعة الهندية المسالمة.

خلال عودة القديسين من حملة إبادة هنود النار اغنستس فى عام ١٦٣٧ بقيادة الكابتن جون انديكوت كانوا فى أوج النشوة فأرادوا التحرش البيكو والتسلل بقتلهم. ويروى شاهد عيان أن البيكو.

«عندما رأونا على شواطئهم، أسرعوا للترحيب بنا، وهم يهتفون: أهلاً بالإنجليز، أهلاً بالإنجليز (وكانوا يسمون الإنجليز أوانكس Owanux). لم يكن يخطر ببالهم ما نعد لهم. وعم الترحيب والتهليل ومظاهر الفرح بوجودنا فى كل مكان حتى وصلنا إلى نهر بكويت Pequeat. وهناك، مع سقوط أول قتلاهم، أدرك الهنود باستغراب شديد سبب وجودنا فهجروا قراهم وفروا إلى الغابات القريبة. ونزل الإحباط بالجنود فراحوا يحرقون القرى والحقول ويتلفون المحاصيل».

وما أن أعاد الجنود إلى مستعمرتهم حتى ظهر الهنود من مخابثهم ونظموا أنفسهم وهاجموا حصن سيبروك Saybrook فاقتحموه، ولكن دون أن يقتلوا أو يجرحوا أحداً. وظنوا أن هذه «البطولة الاستمرارية»، كأفية لاسترداد كرامتهم، وإلحاق المستعمرين بالتعاضد السلمى. وبكل ما أعطاهم الله من براءة سأل هنود البيكو قائد الحصن ليهون غاردينر عن إمكانية هذا التعاضد السلمى، فأجابهم: «لقد دمرتم بمدوانكم هذا كل إمكانية للسلام بيننا». وسأله الهنود أيضاً ما إذا كان الإنجليز سيقتلون الأطفال والنساء،

فأجابهم «ستعرفون ذلك في حينه». بعد أيام قليلة قاد الكابتن جون مايسون قبيل الفجر جيشاً من الميلشيا قسمه إلى فرقتين تولى قيادة إحداها بينما تولى جون أندرهيل الفرقة الثانية. وقبل أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود هاجموا الهنود النائمون من جبهتين. وكان ذلك بتعبير جون مايسون «آخر نوم لهم». ويصف مايسون تلك الليلة بقوله:

«لقد أنزل الرب في قلوب الهنود رعباً شديداً، فحاولوا أن يطيروا بين أسلحتنا ويقفzوا في اللهب الذي التهم كثيراً منهم. كان الرب يضحك من أعدائه وأعداء شعبه المختار. يضحك حتى الاستهزاء والاحتقار، ويجعل منهم وقوداً لهذا القرن الذي تحولت إليه قريتهم. هكذا ينتقم الله منهم ويملا الأرض بجثثهم... ليعطينا أرضهم».

كان الجنود يقتلون الجرحى من الرجال والنساء والأطفال ويشعلون النار في البيوت ويحرقون الهنود في أكواخهم أحياء أو موتى، وكأنهم في حفلة شوى، «باريكيو»، بتعبير كوتون ماذر أحد أقدس أنبياء الاستعمار الإنجليزي للعالم الجديد.

استمرت حفلات «الباريكيو» طويلاً قبل أن يتعلم الهنود أن البراءة مع شعب الله الإنجليزي انتحار، وأن الدفاع عن أنفسهم يحتاج إلى معرفة طبيعة الحرب لدى أعدائهم وإلى عدم قياس نظام قيم وأخلاق الإنجليز إلى نظام قيمهم وأخلاقهم. فالإنجليزي لا يحب التمثيل المسرحي في ساحة القتال، وإذا أراد أن يرقص فإنه ينتظر حتى ينقش غبار المعركة ليرقص على أشلاء خصمه. لقد مضى وقت طويل قبل أن يتعلم الهنود، كما يقول جننفر في «اجتياح أمريكا»

«إن وعد الإنجليزي مهما كان صادقاً مضموناً سوف يخلفه بمجرد أن يتعارض مع مصلحته التي لا تعرف حدوداً، وإن أسلوب الحرب الإنجليزي لا يعرف معنى للرحمة أو للشرف أو للمواثيق أو للتردد... ولقد حفظ الهنود ذلك الدرس غيباً، ولكن حين لا تتفع الدروس والعبر».

تمرضت الثقافة الهندية المسالمة لحملة تشويه لازمت حرب الإبادة وكانت سلاحاً من أسلحتها. لم يكتف التاريخ المنتصر بأن أطلق على غزواته واجتياحاته وحملاته العسكرية اسم «حروب الهنود»، بل إنه أسقط كل عنفه وفظاعاته الدموية على الهنود بدءاً بسلخ فروة الرأس وانتهاءً بالتمثيل بالجثث. إن مقتل مئة هندي أو حرق قرية هندية كاملة بمن فيها قد تحوله هوليوود إلى مناسبة للضحك والتسلية، فيما هي تتسج من تلويح الهندي بيده في وجه الرجل الأبيض دراما مخيفة تجعلها عنواناً للعنف والوحشية التي تؤمله للموت. وصورة الضحية على الغالب فتاة جميلة شقراء مذعورة، نصف عارية تكشف عن بياضها. وهي لا تختلف عن تلك التي يخطفها كنج كونغ، وإن كانت هوليوود تضيف على كنج كونغ بعض المشاعر الإنسانية التي تشن بها على الهندي. إنهم قبل أن يسلبوا الهنود جهودهم في الحضارة الإنسانية ويعروهم من إنسانيتهم أسقطوا عليهم أشنع فظاعاتهم كالعنف وسلخ فروة الرأس والتمثيل بالجثث وغير ذلك مما يعتبر لازماً لاعتبار إبادة ١١٢ مليون إنسان من «الأضرار الهامشية» التي تواكب انتشار الحضارة.

«ارتكب الإنجليز جريمة سلخ فروة الرأس في معظم حروبهم». وعلى نقيض ما تروج له هوليوود والرسميون والإعلاميون وأكاديمو التاريخ المنتصر «فإن الرجل الأبيض هو الذي خلق عادة السلخ (في العالم الجديد) وإن أكثر جرائمها من صنع يديه». وكانت عادة سلخ فروة الرأس متبعة أيام الحروب الإنجليز الإيرلندية، ففي أواخر القرن السادس عشر لجأ القائد الإنجليزي همفري جلبرت إلى قطع الرؤوس وسلخ فروتها لإثارة الذعر في نفوس الإيرلنديين وقمع انتفاضتهم (١٥٦٧ . ١٥٧٠) في فظاعات أفلها زرع جانبى الطريق إلى مقر زعيم الانتفاضة بالرؤوس المقطوعة. وقبل أن يتوجه إلى العالم الجديد، يحاول مُلكاً، خلع عليه البلاط لقب «فارس» اعترافاً ببلائه في نشر الحضارة. ومع أنه عاد خائباً ولم يفلح في تأسيس مستعمرته فإن مسيرته ظلت تتابع نشاطها وتمضى على خطاه إلى يومنا هذا، حتى إن الجنرال ألفرد سولى أعاد هذا المشهد بكل تفاصيله بعد حوالى ثلاثة قرون

عندما أمر بنصب الرؤوس المقطوعة لهنود اللاكوتا على عيدان ضخمة، كل رأس على عود، وزرعها على جانبي الطريق المؤدية إلى مقره العام للاستثناس وفرض الهيبة.

ولقطف الرؤوس وظائف أخرى غير الزينة أو فرض الهيبة كما كان الحال في أيرلندا والمستعمرات الأمريكية الأولى. لقد استخدم في البداية - بدلاً عن آلات الحساب الخرزية - للتأكد من عدد القتلى، ثم سرعان ما اكتشفت أخلاق السوق فيها وسيلة للرزق فاعتمدتها وطورتها وجعلت منها صناعة مستقلة. ويقول جننغز في «اجتياح أمريكا» إن السلطات الاستعمارية رصدت مكافأة لمن يقتل هندياً ويأتى برأسه، ثم اكتفت بسلخ فروة الرأس إلا في بعض المناسبات التي تريد فيها التأكد من هوية الضحية. ولعل أقدم مكافأة إنجليزية على «فروة الرأس» بدلاً من كامل الجمجمة تعود إلى عام ١٦٩٤. في ١٢ أيلول/ سبتمبر من ذلك العام رصدت المحكمة العامة في مستعمرة مساشوستس مكافآت مختلفة لكل من يأتى بفروة رأس هندي مهما كان لجمره أو جنسه. وتختلف هذه المكافآت بحسب مقام الصياد: خمسون جنيهاً للمستوطن العادي، وعشرون جنيهاً لرجل الميليشيا، وعشرة جنيهاً للجندي. ولم تمض عشرون سنة حتى رصدت كل المستعمرات الإنجليزية جوائز مماثلة. ثم تغيرت «التعرفة» في عام ١٧٠٤ فأصبحت مئة جنية لكل فروة رأس. ومن المفارقات أن المكافأة المتواضعة التي رصدت لفروة رأس الفرنسي في عام ١٦٩٦، وهي ستة جنيهاً فقط، لم تتغير في التعرفة الجديدة، بل ظلت في أسفل القائمة، وظل الفرنسي الأبيض - برغم عداوته الدموية للإنجليزى - آخر المطلوبين.

كانت مكافأة المئة جنية تعادل أربعة أضعاف متوسط الدخل السنوى للمزارع في مستعمرات نيو إنكلند. وكان بإمكان أى مستوطن عجوز أن يصطاد طفلين وثلاث نساء هنديات سنوياً ويتنعم بما لم يتنعم به جلالة الملك جيمس. هذا ما جعل صيد الرؤوس الهندية وسلخها أسرع طريقة لبناء

الثروة، وسرعان ما وجدت «ثروة الأمم» المعادلة الاقتصادية المناسبة لاستثمار بونانزا الأرواح تجارياً. لقد اكتشف شعب الله نفضله في عروق الهنود.

في فالموث، أو ما يعرف اليوم ببيورتلاند أسس توماس سميث إحدى هذه الشركات التي تستأجر فرقة من المغامرین لقتل الهنود والعودة برؤوسهم أو فرواتها. كان سميث يزود الفرقة بالمعدات والذخائر ويتقاضى ثلث المكافأة. وتقول إحدى صفحات يومياته إن حصته من مكافآت ذلك اليوم الكاسد (١٨ حزيران/ يونيو ١٧٥٧) بلغت ١٦٥ جنيهاً كان الصيادون يتعهدون قرى معينة، يمشطونها قرية قرية ولا يبقون فيها فروة واحدة. حتى إن القرى المكسيكية وراء الحدود صارت هدفاً للصيادين. ولأن فروة رأس الهندي «الحليف» لا تختلف عن فروة الهندي العدو، ولأن صيدها أسهل، ولأن أخلاق السوق لا تعنيها هذه التفاصيل التافهة فقد ركزت هذه التجارة جهودها على صيد رؤوس الحلفاء، ولاسيما منهم أولئك الذين تطهرت أرواحهم واستعاروا لأنفسهم أسماء القديسين. ويروى أكستل في بحثه عن «السلخ» أن فرقة من أربعة رجال من مستوطنى نيوجرسي زعموا أنهم يصطادون هنود فيلادلفيا، لكنه في ليلة ١٢ نيسان/ أبريل ١٧٥٦ تبين أن كل ضحاياهم كانوا من هنود المنطقة الذين أنقذ القديسون أرواحهم واستخدموهم في أعمال السخرة. في منتصف تلك الليلة اقتحم المستوطنون بيت عائلة هندية آمنت فأمنت ونامت قرية العين. أما الرجل «جورج» فتمكن من العرب، لكن الزوجة «كاثرين» تلقت بضع طلقات في صدرها ثم قطع رأسها بالفأس. الطفلة ذات الأحد عشر ربيعاً تهشم رأسها بالبلطة وتلقّت عدة طعنات في كتفها. وأما رأس الطفل الذي لم يبلغ السنة فما كان على الله الإنجليزي بعسير.

ويروى بيتر شمالي في كتابه عن هنود أوجيبوا كيف أن الأخوة في الإيمان لم تكن أفضل من التحالف، وكيف أن الذين طلبوا خلاص أرواحهم في الآخرة وطعموا في خلاص أجسادهم في الدنيا صاروا فريسة سهلة للقديسين. ففي إحدى قرى دولاوير حاصرت كتيبة مسلحة بقيادة دافيد

وليامس أفراداً من الهنود المورافيين. وتمضى الشهادة فتقول إن الجنود طمانوهم إلى أنهم جاءوا لمرافقتهم إلى حيث يصلون ويجدون طعامهم بأمان. وقالوا لهم إن هذه المهمة النبيلة لا تحتاج إلى حمل السلاح. ووافق الهنود مطمئنين إلى أخوة الإيمان. ثم إنهم أسرعوا إلى إحضار من تبقى من أهلهم وذويهم في البيوت حتى لا تفوتهم بركات الصلاة. ولم يكن لدى الهنود وقت ليكتشفوا الخدعة إذ عاجلهم الجنود بالقتل وحصدوا في تلك المذبحة رؤوس ٢٩ رجلاً و ٢٧ امرأة و ٣٤ طفلاً.

ثم ازدهرت هذه التجارة مع الحرب الإنجليزية . الفرنسية في العالم الجديد، ومع تزاحم الطرفين على شراء «الحلفاء» وتنافسهما على رفع مكافآت مرتفعة لقاء فروات رؤوس أعدائهم. وفيما كانت الشركات التجارية الإنجليزية والفرنسية توجه نشاطها الأكبر لصيد رؤوس الهنود «الحلفاء» قبل الأعداء، كانت الوعود السياسية والاقتصادية التي أمطرها البيض على الهنود قد أوقعت بعضهم في الفخ. لم يتصور الهنود الذين أغرتهم الأطماع والوعود وقصر النظر فتماونوا مع المستعمرين على قتل إخوانهم أنهم سيموتون بالطريقة نفسها عندما يدرك المستعمرون غايتهم منهم. لقد أغروهم بارتكاب هذه الفظائع التي كانوا فيها أكبر الخاسرين. فخلال حرب السنوات الست (١٧٥٤ . ١٧٦٠) كان الإنجليز والفرنسيون هم الذين يديرون هذا المسلخ الذي لم يذبج فيه إلا الخراف.

واضططر الإنجليز إلى رفع قيمة مكافأة السلخ في السنة الثالثة للحرب بعد أن ألحق الفرنسيون هزيمة ساحقة بالجنرال الإنجليزي إدوارد برادوك ويحلفائه من الهنود. هكذا استغنى كثير من المستوطنين عن البحث عن الذهب ليلتحقوا بمناجم السلخ، وصاروا يتنافسون فيما بينهم ويتباهون بسرعة الصيد وكثرة الفنائم. ويروي المفامر لويس وتزل Lewis Wetzel أن غنيمته من فروات رؤوس الهنود كانت لا تقل عن أربعمائة فروة في الطلعة الواحدة. ويعتبر «وتزل»، وهو ابن مستوطنين مفامرين، من أبطال التاريخ

الأميركي وما يعرف بمخالقة الثغور. جرح صغيراً عندما كان أبواه يحاولان الاستيلاء على أراض هندية بالقوة. في الرابعة عشرة دشن أول ضحاياه ونذر نفسه لقتل الهنود. لهذا لم يتزوج ولم يضيع لحظة من حياته في عمل آخر. من بطولاته قتل زعيمين هنديين فيما كانا يجريان مفاوضات السلام مع المستعمرين، الأول زعيم الدولوير (عام ١٨٧١)، والثاني زعيم السينيكا (عام ١٨٧٩).

بدءاً بـ «وتزل»، صار قطع رأس الهندي وسلخ فروة رأسه من الرياضيات الإنجليزية المحببة في أمريكا، بل كان الكثير منهم يتباهى بأن ملابس صيده وأحذيته مصنوعة من جلود الهنود. ثم تغير الحال بعد عقد من الزمان عندما بدأ الإنجليز الملكيون والإنجليز الثوار يسلخون رؤوس بعضهم في العالم الجديد فيما يدعى كل منهم وصلاً بالعناية الإلهية وينسب إليها جرائمه وفظائمه. وبالطبع فقد تنازع الطرفان على صفة الاختيار والتفضيل وتمثيل «شعب الله»، لكنهم جميعاً ظلوا مخلصين لتقليد السلخ والتمثيل بالجثث طوال فترة ما يسمى بحرب الاستقلال. كانوا ينظمون لذلك حفلات خاصة ويدعون إليها عليه القوم للتفرج والاستمتاع الشهواني بهذه المشاهد المثيرة، حتى إن الكولونيل جورج روجرز كلارك في حفلة أقامها لسلخ ١٦ من الأسرى الأحياء أثناء حصاره الاحتفالي لفانسين Vincennes طلب من الجزائريين أن يتمهلوا في الأداء، وأن يمطوا كل تفصيل تشريحي حقه لتستمع الحامية كلها بالمشاهد. وقد وصف الكولونيل هنري هاملتون في يومياته بهجة الحضور بأنهم خرجوا يختالون بنشوة انتصارهم ورائحة دم الضحايا تعبق منهم. ومايزال كلارك إلى الآن رمزاً وطنياً أمريكياً وبطلاً تاريخياً، و«مايزال من ملهمي القوات الخاصة في الجيش الأمريكي».

وفي كولورادو تولت الشركات الخاصة، بتعاقد ضمنى مع الدولة، مهمة الذبح والسلخ والقضاء على الوجود الهندي. أما في كاليفورنيا فقد تأخرت حفلات السلخ قليلاً لكنها سرعان ما اتبعت خطوات الولايات الأخرى، ففي

حادثة واحدة (أيار/ مايو ١٨٥٢) اشترك فيها «شريف» ويفر فيل هو جم ١٤٨ هندياً من الرعاية فأصبحوا أثراً بعد عين. ثم أصبح قطع الرؤوس خبراً عادياً في الصحافة البيضاء التي لم تمد تجد حرجاً في الحديث عن أن هدف هذه المجازر هو «الإبادة» وأن القتلة الذين ارتكبوا هذه البطولات تلقوا مكافآت من الحكومة بعد أن أبرزوا فروات رؤوس ضحاياهم.

مع تأسيس الجيش الأميركي أصبح السلخ والتمثيل بالجثث تقليداً مؤسساتياً رسمياً. فعند استعراض الجنود أمام وليم هاريسون (الرئيس الأميركي لاحقاً) بعد انتصار ١٨١١ على الهنود، تم التمثيل ببعض الضحايا، ثم جاء دور الزعيم تيكومسه Tecumseh. وهنا تراحم صيادو التذكارات على انتهاب ما يستطيعون من جلد هذا الزعيم التاريخي أو فروة رأسه. ويروي جون سغدن John Sugden في كتابه عن تيكومسه كيف شرط الجنود المنتشون جلد الزعيم من ظهره إلى فخذه، وكيف أن أحدهم قص قطعة من الجلد شرائط رفيعة لربط موسى الحلاقة، وكيف تتاهش الآخرون فروة رأسه حتى إن بعضهم لم يحصل على قطعة أكبر من السنت (قطعة نقد ممدنية لا يتجاوز قطرها السنتيمتر) مزينة بخصلة من شعر تيكومسه. وعندما أجريت مقابلة مع أحد هؤلاء المحظوظين في عام ١٨٨٦ (أي بعد ٧٥ سنة) تحدث عن تلك المناسبة التاريخية بافتخار وهو يحمل بين إصبعيه تذكاره البطولي. وكان الرئيس أندرو جاكسون الذي تزين صورته ورقة العشرين دولاراً من عشاق التمثيل بالجثث، وكان يأمر بحساب عدد قتلاه بإحصاء أنوفهم المجدوعة أو آذانهم المصلومة، وقد رعى بنفسه حفلة تمثيل بجثث ٨٠٠ هندي يتقدمهم زعيمهم مسكوجي (رد ستيكس). ففي ٢٧ آذار/ مارس ١٨١٤، كما يروي دافيد ستانارد، احتفل الرئيس جاكسون بانتصاره على هنود الكريك وتولى جنوده التمثيل بجثث الضحايا من الأطفال والنساء والرجال، فقطعوا أنوفهم لإحصاء عددهم وسلخوا جلودهم لدبفها واستخدامها في صناعة أعنة مجدولة للخيول^(٣١).

بعد مذبحه ساند كريك التى ذهب ضحيتها أكثر من ٨٠٠ هندی أعزل اضطر الكونجرس إلى إجراء تحقيق فى الفضاعات التى ارتكبها الجنود وقائدهم جون شفنجتون John Chivington. ويعتبر شفنجتون اليوم من أعظم أبطال التاريخ الأمريكى، وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخى تخليداً لذكراه ولشعاره الشهير:

«اقتلوا (الهنود) واخذوا جلودهم. لا تتركوا صغيراً ولا كبيراً، فالقمل لا يفقس إلا من بيوض القمل».

ولعل هذه هى العبارة التى ألهمت هملر تشبيه ما جرى فى معسكرات الإبادة النازية بأنه «تنظيف قمل». وكانت الحكومة قد أعلنت الكولونيل شفنجتون بأن القرية مسالمة، وأن معظم رجالها خرجوا لصيد الجواميس، لكن الكولونيل قال: «حسناً. إننى متشوق للخوض فى الدم». وقد تحقق له ما يصبو إليه. فمع أول خيوط فجر ٢٩ تشرين الثانى/ نوفمبر ١٨٦٤ زحف رجاله إلى القرية. وكان فيها رجالان من البيض حاولا إعلام الجنود بأن القرية مسالمة، لكنهما جويها بإطلاق النار. ثم إن الزعيم بلاك كتل الذى لم يصدق أن البيض سيخرقون اتفاقيات السلام رفع العلم الأبيض فوق سارية أحد البيوت كما رفع علماً أمريكياً كان قد تلقاه من مفوض الشؤون الهندية، وراح الزعيم المخدوع بالاتفاقيات والوعود يطمئن أهل القرية ويهدئ روعهم قائلاً: «لا تخافوا.. لا تخافوا، نحن فى سلام مع البيض»!

وفيما كان الجنود يطلقون النار على أهل القرية المتراكضين فى كل الاتجاهات أعطى شفنجتون أوامره بالقصف المدفعى، ومطاردة الهاربين. ويقول روبرت بنت Rober Bent أحد مساعدى شفنجتون فى شهادته أمام الكونجرس:

«بعد القصف، حاول رجال القرية أن يجمعوا الأطفال والنساء ويحيطوا بهم لحمايتهم. ولقد شاهدت خمس نساء مختبئات تحت مقعد طويل. وعندما وصل الجنود إليهن. بدان يتوسلن ويطلبن الرحمة لكن الجنود قتلوهن

جميعاً. وكان هناك أيضاً ثلاثون أو أربعون امرأة متكومات فوق بعضهن في حفرة، وقد أرسلن إلينا طفلة في السادسة تحمل راية بيضاء مربوطة على عصا، لكنها لم تتقدم بضع خطوات حتى أطلقنا عليها النار وقتلناها، كما قتلنا النساء اللواتي لم يبدن أية مقاومة. ثم إنني رأيتهم بعد ذلك مسلوخات الرأس، بينما كانت إحداهن مبقورة البطن وجنينها في بطنها واضح للعين. وأخبرني الكابتن شاول أنه رأى ما رأيت، ورأى مثلي عدداً كبيراً من الأطفال بين أيدي أمهاتهم المذبوحات».

ويقول شاهد آخر هو الجندي آشبري بيرد Ashbury Bird إن

«عدد الضحايا يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠، وإنهم جميعاً تعرضوا لسلخ فروات رؤوسهم. لقد رأيت امرأة تعرض فرجها للتمثيل به، كما شاهدت جثثاً مقطعة تقطيعاً فظيماً وعدداً من الجماجم المحطمة. وإنني لعلى ثقة بأنها تحطمت بعد موت أصحابها بإطلاق النار عليهم كما هو واضح، (وهذا ما يشهد عليه أيضاً السيرجنت لوسيان بالمر Lucien Palmer). إنني لم أر قتيلاً واحداً لم يسلخ رأسه أو رأسها. لقد رأيت كذلك أصابع مقطوعة للسطو على الخواتم. كما رأيت عدداً من الجثث وقد قطعت أعضاؤها التاسلية».

وتقول شهادة عاموس مليكش Amos C. Milksch:

«رأيت طفلاً حياً بين الجثث المرمية في الخندق. ورأيت جندياً من الفرقة الثالثة يستل مسدسه ويطلق النار على رأس الطفل. رأيت ضحايا مقطعة الأصابع للسطو على خواتمها، ومقطعة الأذان للسطو على زينتها، ورأيت عدداً من الجنود ينبشون جثثاً تم دفنها ليلاً، وذلك ليسلخوها وليأخذوا زينتها. ورأيت امرأة هندية مهشمة الرأس. وفي الصباح التالي، بعد أن تيبست الجثث، بدأ الجنود بسحب جثث النساء و«فتحهن» بطريقة مشينة».

وشهد دافيد لودريالك David Lauderback أحد الفرسان أن

«جثث النساء والأطفال تم التمثيل بها بطريقة مخيفة. لقد رأيت ثمانى منها فقط، ولم أجد فى نفسى الشجاعة لرؤية المزيد فقد كانت شديدة التقطيع، وكانت مسلوخة الرؤوس. أما الزعيم وايت أنتلوب (الطبيب الأبيض) فإنه كان مقطوع الأنف والأذنين والأعضاء التناسلية».

ويقول المترجم جون سميث John Smith:

«لقد مارسوا كل أنواع السلب والنهب؛ سلخوهم، واقتلوا آدمغتهم. واستخدم الجنود سكاكينهم لتمزيق أجساد النساء وشقهن، ولتمذيب الأطفال ودق رؤوسهم بأعقاب البنادق واقتلاع آدمغتهم والتمثيل بأجسادهم. إن أسوأ تمثيل رأيته فى حياتى هو تقطيع النساء إلى قطع صغيرة وتمزيق جثث الرضع الصغار ذوى الشهرين أو ثلاثة أشهر. وعندما ذهبت إلى مكان المذبحة فى اليوم التالى لم أر جسداً واحداً إلا وقد سلخ وقطعت أعضاؤه التناسلية».

ويقول الليوتننت جيمس كانون James D. Cannon:

«سمعت جندياً يقول إنه اقتطع فرج امرأة وعلقه على عود لمرضه. وسمعت آخر يقول إنه قطع أصابع هندية ليأخذ خواتمها. كما سمعت جنوداً قالوا إنهم اقتطعوا فرج الهنديات وشدوها على مقدمات سروج خيولهم أو عرضوها (كالنياشين) على قبعاتهم أثناء الاستعراض المسكرى. وسمعت جندياً يقول إنه شق قلب امرأة هندية ورفعه على عود».

بعد انتهاء «المهمة» عقد الكولونيل شفنجتون مؤتمراً صحافياً أعلن فيه أنه خاض مع رجاله «إحدى أكثر المعارك دموية مع الهنود، حيث تم تدمير أعتى قرى هنود الشايين»؛ فيما عمت النشوة بين الزنابير فى طول البلاد وعرضها وخرجت مسيرات الفرع والتأييد فى الشوارع حتى أن افتتاحية إحدى الصحف شبهت فروات الرؤوس المقطوعة والمتناثرة هنا وهناك بالضفادع التى اجتاحت مصر قبل خروج بنى إسرائيل منها، وأضافت «ليس

هناك أحد لم يتمتع بقطعة من فراء رؤوس هنود الشايين، وهناك من بلغت به النشوة أن أرسلها إلى (أصدقائه في) الشرق». وبالطبع أنهت لجنة تحقيق الكونجرس تحقيقاتها باستهجان المجزرة وعدم معاقبة أحد. أما الرئيس تيودور روزفلت فإنه تسامى بهذه البطولات فوصفها بقوله «إن مذبحه ساند كريك كانت عملاً أخلاقياً ومفيداً (ذلك لأن) إبادة الأعراق المنحلة حتمية ضرورية لا مفر منها».

وفي عام المذبحه اكتشف أحد صيادي الأرواح إمكانية استخدام الأعضاء الذكرية أكياساً للتبغ. ثم تطورت الفكرة المثيرة من هواية فردية للصيادين إلى صناعة رائجة بعد أن صار «كيس التبغ» هذا، مثل الشاريين، من أبرز علامات الرجولة والفروسية والارستقراطية الاستعمارية، وصار الناس يتهاذونه في أعيادهم وأفراحهم. لكن هذه الصناعة لم تعمر طويلاً في داخل أمريكا بعد أن انخفض عدد الهنود في عام ١٩٠٠ إلى ربع مليون، وضاق وجه الأرض الأمريكية بالسليخ وقطع الرؤوس ولم يعد أمام الحضارة إلا أن تبحث وراء المحيط عن مجاهل جديدة ووحوش طازجة في باناما والفلبين واليابان وهايتي وكوريا وفيتنام وبلاد العرب.



في أربعينيات القرن العشرين دخلت اليابان أطلس المجهل وانضم اليابانيون إلى قائمة الشموب المتوحشة. وسرعان ما صنفت دائرة الأنثروبولوجيا في مؤسسة سميثسونيان الثقافية اليابانيين مع الأعراق المنحلة. ففي رسالة وزعتها على المسؤولين الأمريكيين أكدت فيها «أن جمجمة الياباني متخلفة عن جمجمتنا (الأنكلوسكسونية) أكثر من ألفي سنة»، بينما قال العسكريون «إن اليابانيين ليس فيهم طيارون مؤهلون قادرون على التصويب في اتجاه الهدف لأن عيونهم مشوهة منحرفة». وكانت حملة «التوحيش»، كالمادة، رخصة للتحلل من أي التزام أخلاقي أو إنساني أو قانوني تجاه الضحايا. ويروي مراسل حربي أميركي في مقالة له في

«لقد قتلنا الأسرى بدم بارد، ومحونا المستشفيات من الوجود، وأغرقنا مراكب الإنقاذ، وقتلنا المدنيين وعذبناهم، وأجهزنا على الجرحى، وجرفناهم إلى حفر جماعية. وهناك في الهادي سلقنا لحم جماجم أعدائنا لنصنع منها عاديات تذكارية توضع على الطاولات وتهدى إلى الأحباب، أو صنمنا من عظامهم سكاكين لفتح الـ «سائل».

وكانت أعظم غنائم المحاربين هي هذه التذكارات التي يجمعها الجنود من جثث الضحايا أو المحتضرين كما يروى جون دور في كتابه عن ظاهرة العنصرية في حروب الهادي «حرب بلا رحمة». من ذلك الأسنان الذهبية، الأذان، العظام، فروات الرؤوس، والجماجم وغير ذلك من تذكارات فيتيشية طالما اعتبرها علماء الاجتماع العرقى دليلاً على العقلية البدائية التي تعبد الجماد وتتعلق به مرضاً وجنسياً. وقد لاقت هذه «الدكاكير» ترحيباً كبيراً لدى الشعب الأمريكي حتى إن مجلة لايف نشرت في عام ١٩٤٤ موضوعاً عن الحرب مزيناً بصفحة كاملة لصورة صبية شقراء يفتر ثفرها عن بسمة السعادة والفخار وهي تقف إلى جانب جمجمة يابانية أرسلها إليها خطيبها من الجبهة. ويبدو أن عبادة الدكاكير طقس قديم يعود على الأقل إلى عام ١٨١٤ عندما أشرف الرئيس جاكسون بنفسه على سلخ ٨٠٠ من هنود الكريك، واقتراح أن ترسل قطع من تلك الجثث هدايا إلى السيدات الأرستقراطيات في تنسي.

بعد أقل من عقدين مضيا على نشر صورة «الحسناء والجمجمة» في مجلة لايف وصف الجنرال وستمورلند William Westmorland الشعب الفيتيتامي بالنمل الأبيض termite. والنملة البيضاء أخطر حشرة يخشى الأمريكي أذاها على بيته، ولذا فهي مرتبطة في ذهنه بحتمية وشرعية وأخلاقية مكافحتها بمبيدات الحشرات. في هذا السياق التاريخي الطويل من إبادة الحشرات على مدى أكثر من أربعة قرون، يستخدم الجنرال هنا

سلاح الإبادة دون أى رغبة فى أن يعرف شكل ضحاياه أو عددهم. ولقد سهل القصف الجوى وإطلاق الصواريخ عن بعد والقتل الإلكتروني هذه المهمة حتى جعلها أشبه بلعب التسلية. إن الفلاح الفييتنامى تحول إلى نملة بيضاء، مثلما تحول الهندى إلى دودة، والفيليبينى إلى حشرة، والعربى العراقى إلى صرصار. هكذا لم يجد الجنود حرجاً فى الاحتفاظ ببعض أعضاء هؤلاء الفييتناميين الحشرات تذكراً كما فعل آباؤهم فى الحرب العالمية الثانية.

ليس غريباً إذن أن لا يجدوا فرقاً بين مجاهل العالم الجديد ومجاهل فييتنام وأن يطلقوا على هذه الجبهة الجديدة اسم «البلاد الهندية». وكان هيومانكه Hugh Manke رئيس قسم المتطوعين الدوليين، فى شهادة له أمام الكونجرس، عام ١٩٧١، قد أكد على عزم القوات الأميركية على إبادة فييتنامى الجبال واحداً بعد الآخر، وقال «إننا سنحل مشاكلهم كما فعلنا مع الهنود». بل إن الجنرال مكسويل تايلور Maxwell Taylor وصف الفييتكونج فى شهادته أمام الكونجرس بأنهم «هنود»، وأنهم لذلك «ليسوا بأفضل من قمل يفرز جلد الكلاب». أما السفارة الأمريكية فى سايغون فوصفتهم على لسان ضابط علاقاتها العامة جون مكليן John Mecklin بأن عقولهم تعمل كما تعمل السيقان الرخوة للطفل المشلول، وأن محاكماتهم العقلية لا تضاهى طفلاً أمريكياً فى السادسة من عمره. وكانت قناة History التلفزيونية قد عرضت (١٣ تموز ١٩٩٦) شكلاً حديثاً متطوراً من مشاهد السلخ فى فيلم وثائقى بعنوان قيام العنقاء Rising Phoenix نرى فيه الجنود الأميركيين فى فييتنام وهم «يقطفون» رؤوس ما يشتبه بأنهم من كوادر الفييتكونج، ويعرضونها فى مهمة أشرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية فى أواخر ١٩٦٤ وأطلقت عليها عملية العنقاء Operation Phoenix.

وتتضارب الأرقام النهائية لعدد ضحايا العنقاء بين شهادة وأخرى. فبينما يعترف وليم كولبى، وكان يومها يدير عمليات السى آى إيه فى فييتنام، بأن حصيلة قتلها بين المدنيين فى نهاية ١٩٧١ بلغت ٢٠٥٨٧ و ٢٨٩٧٨

معتقلاً (تبين لاحقاً أنهم أبيضوا) و ١٧٧١٧ تولت أمرهم حكومة سايفون، يقول تقرير لجنة تشيرش Church (لعام ١٩٧٦) إن عدد قتلى عملية العنقاء من المدنيين بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ زاد على العشرين ألفاً. أما وزارة الدفاع فتعترف بأن عدد قتلى تلك العملية من المدنيين في فيتنام الجنوبية كان ٢٦٣٦٩ بينما بلغ عدد المعتقلين ٣٣٣٥٨. ويتحدث روى بروسترم Roy Prosterman أستاذ القانون في جامعة واشنطن عن نشاطات جانبية لعملية العنقاء خاصة بإصلاح الأراضي في فيتنام والفلبين والسلفادور فيقول إن عدد ضحايا فيتنام وحدها من هذه العملية ما بين ١٩٦٨ ومنتصف ١٩٧١ زاد على الأربعين ألفاً. ومهما كانت حقيقة الأرقام فإن برنامج العملية يقتضى تصفية كل من يشتبه بأنه من الفيتكونج أو يتعاطف معهم بمعدل ١٨٠٠ فيتنامي شهرياً على أقل تقدير. وكان المدنيون المشتبه بتعاطفهم مع الفيتكونج أكبر الضحايا فقد كانوا يمتقلون بالآلاف ويقتلون تحت التعذيب. ويروى بارتون أوسبورن أحد ضباط العملية في شهادة له أمام لجنة الكونجرس للشؤون العسكرية لعام ١٩٧٣ صورة مما كان يجرى أثناء التحقيق فيقول:

«كنت أنظر في قضية مشتبه يقول أحد عملائي إنه متعاطف مع الفيتكونج. وكان التحقيق يجرى في مجمع التجسس المضاد لفرق المارينز. وحين دخلت لمتابعة ما يجرى كان الرجل قد فارق الحياة بعد أن دكوا في فتحة أذنه سيخاً حديدياً طوله ست بوصات اخترق دماغه وقتله.. لقد كانت حرب إبادة منظمة».

وتصف مجلة Counterspy في عدد ربيع/ صيف ١٩٧٥ عملية العنقاء بأنها: «أكبر برنامج للقتل الجماعي المنظم شهدته العالم منذ معسكرات الموت النازية».

في ١٦ آذار/ مارس ١٩٦٨ دخلت مجموعة من الكتيبة ١١ قرية «ماي لاي»، فقتلت ٣٤٧ عجوزاً وامراً وطفلاً رضيعاً، ثم إن المشاة أحرقوا البيوت والأكواخ بمن فيها من البشر. وهنا الجنرال وستمورلند هذه المجموعة لعمليتها

الممتاز outstadin action، وتبادل الرسميون الأنخاب ابتهاجاً في المركز الرئيسي ساعة الكوكتيل. وفي يوم المجزرة نفسه هاجمت مجموعة أخرى من هذه الكتبية قرية «ماي خه ٤»، وفتحت نيرانها على طريقة أفلام الكاويوى. في هذه المجزرة تولت مجموعة صغيرة من الجنود تكويم الجثث التي قالوا إنها لا تزيد على المئة: «لقد بسطنا الأرض في تلك القرية بالديناميت والنار، ثم ألقينا حفنة من القش فوق أكوام الجثث». وفي اليوم التالي زحفت هذه المجموعة عبر شبه جزيرة باتنغن Batangan، جنوب بحر الصين، وراحت تحرق كل قرية تعبرها، وتقتل كل ما يدب فيه الروح من الجواميس والخنازير والبط والدجاج والبشر، وتدمر المحاصيل. وقد قال أحد أبطال هذه «الأضرار الهامشية»: «ما فعلناه هنا ليس استثناء. لقد فعلناه في كل مكان». وقال آخر: «لقد كنا نتسلى».

بعد أن كشف سيمور هيرش Seymour Hirsh عن تفاصيل هذه البطولات (من خلال تقرير الكونجرس المؤلف من ٤٠ مجلداً) تشجعت الصحافة على فتح هذا الملف الدموي الذي أدى في النهاية إلى اتهام وسائل الإعلام بأنها وراء خسارة حرب فيتنام، كما أدى لاحقاً إلى تبني استراتيجية إعلامية جديدة لحروب المستقبل يتفرد فيها البنتاجون على مستوى العالم بتوزيع ما يشاء من المعلومات التي تحاول تجنب أى ذكر للضحايا والتركيز على براعة التكنولوجيا الحربية في إصابة الأهداف. وفعلاً فإن الكشف المستمر عن تفاصيل هذا الملف الدامي كان وراء تنامي القوى المعارضة للحرب التي تبين لها كما يقول بروس شايبرو أن مذابح المدنيين وتعمد قصف المستشفيات وسيارات الإسعاف وحرق القرى بمن فيها ومختلف جرائم الحرب كانت عملاً روتينياً مستمراً.

في كتابه عن مذبحة «ماي لاي»، يروي سيمور هيرش (والكلام عن هذه المذبحة كله هنا مقتبس من كتابيه Cover Up و My Lai 4 الحائز على جائزة بوليتزار) أن الطيار هيومسون Hugh Thompson كان يحلق بطائرة الهيلوكبتر

الصفيرة صباح ١٦ آذار/ مارس ١٩٦٨ في منطقة ماى لاي. وما أن اقترب من قرية سونغ ماى حتى رأى الأرض مزروعة بالقتلى والجرحى من دون أى إشارة تدل على وجود قوة معادية، (المنطقة تقع داخل فييتنام الجنوبية «الحليفة» التي «تستضيف» الجيش الأميركي والضحايا كلهم من مواطنيها). وظن الطيار أن أفضل ما يستطيع فعله هو تحديد المكان بالدخان حتى يسرع الجنود على الأرض للنجدة والمساعدة. وكان أول ما فعل أن حدد مكان فتاة مصابة بطلقات في بطنها ومبطوحة على حافة السياج فيما كان نصفها السفلى فوق حقل الرز. ولدهشته فإن الجنود أسرعوا إلى الفتاة ليجهزوا عليها لا ليسعفوها، فقد أفرغوا في رأسها عدة طلقات. وتكررت القصة مرتين أجهز فيها الجنود على طفلين دون العاشرة قبل أن يصحو تومسون من كابوسه. ويقول مساعدة لاري كولبرون Lari Colburn، وكان يومها في الثامنة عشرة من عمره، إن الجنود كانوا يقتلون كل ما تدب فيه الحياة.

ويقول أحد جنود الأرض إنه شاهد سيدة عجوزاً في سريرها تفارق الحياة، وكان هنالك راهب بجانبها يصلى لها. وقد أمره الضابط المسؤول أن يسأل الراهب المعجوز عن الفيتكونج. ولما أنكر الراهب أى علاقة له بهم جره الضابط المسؤول ولیم كالى Lieutenant William Calley إلى الخارج ويطحه فوق حقل الرز. كان الراهب يتوسل إليه أن يبقى على حياته عندما أطلق كالى عليه النار. ثم إن كالى أصدر أمره برمي كل من تبقى من أهل القرية الأحياء في الخندق وإطلاق النار عليهم. وروى شاهد عيان أن كالى كان يجبر بيديه النساء والأطفال إلى الخندق ويطلق عليهم النار قبل أن يستجيب الجنود لأمره ويساعدوه (على «نشر الحضارة وطريقة حياتها»). وقال شاهد آخر: لقد دفعنا كل من وجدناه آمناً من أهل القرية في الخندق وأطلقنا عليهم النار. وشاهدنا كيف حاولت الأمهات إنقاذ أطفالهن عبثاً وكيف كان الأطفال يتلبون بأمهاتهم ويبكون. كان تومسون يحلق فوق المنطقة ويرى الجثث المتراصة فوق الأرض وفي عدد من الخنادق المحفورة. وعندما رأى

مجموعة من النساء والأطفال محاصرين في مكن عسكري قرب خندق محفور لتصريف المياه والأقذار هبط بطائره لمساعدتهم، لكن كالى وجنوده أسرعوا إليه. وكان مما قاله كالى لتومسون: إن أفضل طريقة لمساعدة هؤلاء الأشقياء هي أن تلقى قنبلة عليهم. ولما هم تومسون بإنقاذ بعضهم عاجلهم كالى وجنوده بإطلاق النار. ويقول أحد مساعدي تومسون:

«إن الجثث كانت كالنمل، كان هناك من سمم مياه الشرب، وكان كل من في القرية شرب من هذه المياه المسمومة وسقط صريعاً. لقد استغرق دفن القتلى أكثر من خمسة أيام».

وكان جوزيف ستريك قد أجرى لقاءات مطولة مع «أبطال» ماى لاي، ونشرها في كتاب نال الجائزة الأكاديمية للتوثيق لعام ١٩٧١. وكان مما جاء على لسان فردانو سمبسون Verdano Simson:

«كانوا يمثلون بالجثث ويكل شئ. كانوا يشنقونها أو يسلخونها. وكانوا يستمتعون بذلك. يستمتعون بذلك بكل معنى الكلمة. وكانوا يتلذذون بقطع حناجرهم».

وقال شاهد آخر هو جيمس برغثولد: كانوا يقطعون آذان الضحايا وأشياء أخرى مثل هذا هنا (مشيراً إلى ما بين فخذيته). أما غارفولو Gray Garfalo فربط قصة المذبحة بجذورها حين قال: «إنه السلخ، كما تعلم.. السلخ، مثل حال الهنود. بعض الناس هناك كانوا في رحلة هندية». وأضاف روبرت كروش أن رئيسه قال له: «لا أريد أسرى. أريد إحصاء للجثث». «لقد كنا نعتبر كل من هو فوق الثانية عشرة مشروع جثة». وفي مكان آخر قال أحد المحاربين

«كنا هناك نطهر المكان مستخدمين الشمع المعروف «الهندي الصالح هو الهندي الميت». ولقد كان جنود المارينز هناك يعتقدون أنهم جاءوا لـ «يخوزقوا» المتوحشين fucling savages».

ويروي ريتشارد بويل Richard Boyle في كتابه «زهرة التين Flower of the Dragon» . والكلام هنا من كتابي هيرش . أن مجزرة «ماي لاي» لم تكن جريمة شخص واحد، ولا جريمة فرقة واحدة. إنها مذبحة واحدة من مذابح كثيرة منظمة ومدبرة بدقة من قبل قيادات سياسية وعسكرية رفيعة المستوى، وذلك بهدف إرهاب القرويين والحيلولة دون تعاونهم مع الفيتكونج. ويستشهد بما قاله وليه كورسون William Corson أحد المسؤولين عن هذه المجزرة: «لقد اتفقنا مع حكومة فييتنام الجنوبية على أن ندمر تدميراً حرفياً وفعلياً كل أمل أو طموح لدى أكثر من ٢٠ ألف إنسان. إنها لم تكن مجزرة. لقد كانت حرب إبادة genocide».

«إن جيل أبى . والكلام لبويل . يستغرب اليوم كيف أن جيلي لم يعد يحترم تلك التقاليد والبطولات التي جعلت أميركا أمة عظيمة. إنهم لم يقولوا لنا إن إبادة الشعوب كانت عصب هذه التقاليد والبطولات وإن الجنود الأميركيين سلخوا مئات فروات الرؤوس في مذبحة ساند كريك، ورفضوا تلك الفروا في دار الأوبرا في لايك سيتي ابتهاجاً. لم يقولوا لنا إن المئات من الهنود ذبحوا في «وونددنى» وإن الجنرال جاكوب سميث Jacob Smith أمر بذبح ٨٢٩٤ طفلاً، و ٢٧١٤ امرأة، و ٤٢٠ رجلاً في جزيرة سامار Samar أيام الاحتلال الأميركي للفلبين».

وكانت «النيويورك تايمز» في أواخر نيسان/ أبريل ٢٠٠١ قد كشفت عن مجزرة لم يكن أحد ليذكرها لولا أن بطلها أصبح عضواً في مجلس الشيوخ. وقد ارتكبها السناتور بوب كيري في شباط/ فبراير ١٩٦٩ عندما كان ضابطاً بحرياً متطوعاً في حرب فيتنام ونال جزاء بطولتها وسام النجم البرونزي. ويروي غير هارد كلان أحد الذين شاركوا في هذه المجزرة كيف أن السناتور بوب كيري الذي كان يعمده الحزب الديمقراطي لخوض انتخابات الرئاسة المقبلة قادم في تلك الليلة إلى قرية ثونه فونغ حيث جمعو ١٢ امرأة وطفلاً وأطلقوا عليهم النار بدم بارد، وكيف أنهم بعد سقوط القتلى سمعوا طفلاً

يبكى بين الضحايا فعاجلوه بالرصاص الكثيف. وقال إنهم بينما كانوا في طريقهم إلى مكان المجزرة مروا بكوخ فيه عجوزان وثلاثة أطفال فطعنوهم جميعاً بالسكاكين ثم قطعوا حناجرهم.

في ١٨ نيسان/ أبريل ١٩٧١ أجرى كروسبى موسى مراسل «واشنطن إيفنغ ستار» لقاء مع السناتور جون كيرى زميل بوب كيرى في القتال وفي مجلس الشيوخ، سأله فيه:

كروسبى موسى - لقد ذكرت في أكثر من مناسبة أن سياساتنا في فييتنام لا تختلف عن حرب الإبادة tantamount to genocide، وأن المسؤولية تقع على كافة مستويات قياداتنا. هل قمت أنت شخصياً - كضابط بحرية شارك في حرب فييتنام - بارتكاب فظاعات أو جرائم يعاقب عليها قانون هذا البلد؟

جون كيرى - لقد كان هناك كل ما يخطر على بالك من هذه الفظاعات والجرائم، وأحب أن أعترف بأننى نعم، نعم، ارتكبت مثل هذه الفظاعات والجرائم مثل الآلاف من الجنود... لقد شاركت في مهمات قتل، وتدمير، وإحراق قرى. وهذا كله انتهاك لقوانين الحرب واتفاقيات جنيف، وكل ذلك تم بناء علي أوامر مكتوبة وفقاً لسياسة حكومة الولايات المتحدة من قمة الهرم حتى القاعدة.. وإننى أعتقد أن الرجال الذين رسموا هذه السياسة، الرجال الذين صمموا منطقة النار الحرة، الرجال الذين أعطونا الأوامر، الرجال الذين وقعوا على أوامر القصف الجوى، أعتقد أن هؤلاء الرجال... مجرمو حرب.

في الساعات الأخيرة من وجودهم في فييتنام، وبعد أن ألقوا عليها ١٤ مليون طن من القنابل، انصب كل جهد الدولة الأميركية على إنقاذ الزنابير «البيض». لم يتخلوا عن حلفائهم الفييتناميين وحسب بل تخلوا حتى عن جنودهم الملونين وعن كل ما ليس بأبيض من المئات من موظفيهم المتجمعين في Hotel Duc والآلاف من عملائهم المحتشدين أمام السفارة. وكان الأمر الصادر من الدولة الأميركية حاسماً وواضحاً: «أنقذوا السادة أصحاب

البشرة البيضاء Save the gentlemen in the white skin. وقبل أن تطلع الهيلوكبتر بالقنصل هنرى بودرو Henry Boudreau من سطح السفارة، أطل من عليائه وتفحص الحشود في مبرك السيارات وقال بكثير من الارتياح: «لم أر أى وجه أبيض هناك».

منذ ترومن حتى بوس، حاول كل رؤساء أميركا الحديثة التوسع في غرب «الغرب الأميركي» وحيثما شاء «القدر المتجلى». لقد حاولوا التصدي للشيوعية والتوسع الصينى وبسط سيطرتهم على منابع النفط العربية. وهم في كل خطوة من هذا التوسع «لم يتخلوا هيد أنملة عن السياق التاريخى العنصرى والدموى» كما يوضح دانيال إل سيرغ. لقد تحكمت عقدة الاختيار والتفوق بسلوكهم وبنادقهم فأوهمتهم بأنهم يملكون حق تقرير الحياة والموت لكل من عداهم، وأنهم في حل من أى التزام إنسانى أو قانونى تجاه الشعوب التى يستعمرونها، لا باعتبار أنها أعراق منحلة وحسب بل لأنها فى الغالب مخلوقات متوحشة لا تنتمى للنوع الإنسانى. إن ميتافيزياء كراهية الهنود (لدى الزنابير). كما يقول هرمن ملفيل. استحكمت بطقس «التضحية بالآخر». وهذا ما جعل أميركا تعيش بضحاياها، ولا يمكن فهم حروبها وعلاقاتها الدولية إلا بالبحث عن ينبع طقوسها الخاصة بالتضحية بالآخر.

عندما تحرش القديسون بهنود البيكو فى ٥ حزيران (١) / يونيو عام ١٦٣٧ وشووا أجسادهم بالنار قالوا إنهم كانوا يتسلون، وأن ما جرى كان أشبه بحفلة شوى «باريكيو». ويمد مذبحه مايپول Maypole ذلك العام سكر الحاكم برادفورد وسكر معه القديسون حتى الثمالة، ورقصوا وغنوا أياماً بلياليها، وعاشروا نساء الهنود آخر معاشرة فى حياتهن. ومع منتصف القرن السابع عشر

«صار صيد الهنود من أمتع رياضات التسلية فى نيوانغلاند، فما أن يتم القبض على هذا الوحش حتى يتم تمزيق جسده أو إطعامه للكلاب. هكذا

كان يتم صيد آلاف الهنود سنوياً في ألعاب تسلية كانت تعتبر من الرياضات الشعبية في نيوإنغلاند.

في تلك الفترة التجريبية للتسلي بصيد الأرواح يروى شاهد عيان يدعى جون إيستون قصة اصطلياد هندي عجوز لم يعد قادراً على المشي فيقول:

«لقد تسلى الجنود بتعذيب هذا العاجز لأكثر من ساعة، ثم قرروا أن يقتلوه. بعضهم ارتأى إطعامه للكلاب.. غير أن الرحماء منهم انتصروا في النهاية واكتفوا بقطع رأسه».

وفي عام ١٩٦٨ عندما اقتحمت قوة أميركية شبه جزيرة باتنجن Batangan وراحت تحرق القرى وتقتل فلول الفيتناميين الفارين من أذاها قال أحد القتلة: «لقد أمضينا وقتاً سعيداً هناك وتسلينا». وفي فبراير ١٩٩١ كانت الطائرات تطلق النار على طوابير المراهقين المنسحبين إلى البصرة. وفي خبر من على متن USS Ranger قال أحد الطيارين: «لقد كنا نزجى الوقت في صيد طيور التركي». وقال آخر: «لقد تسلينا. كان قتلهم أشبه بصيد السمك من البراميل». ذلك هو طقس التضحية بالآخر الذي رافق نشوء أميركا وتاريخها لحظة لحظة، وتلك هي ضحاياها كما يقول الزعيم سياتل في عام ١٨٥٤: قبيلة تمضى على أعقاب قبيلة، وأمة تلحق بأمة، كأنهم موج البحر.

في ربيع ١٩٩١ أرسل لي صديق من «الحركة الهندية» دعوة لحضور نقل رفات «المصفورة الضائعة» من لوس أنجلوس إلى مسقط رأسها في داكوتا الجنوبية بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لمذبحة «وونددنى». وأرفق الدعوة بصورة فتاة هندية طويلة الصفائر ترفل بثياب هندية مشنشلة مهدبة الحواشي، وتزين عنقها وصدرها بحلى هندية تقليدية. صورة شاحبة اللون تعود إلى أول القرن، تقف فيها الفتاة وقفة استعراضية تذكرك بعشيقات شارلى شابلن في أفلامه الصامتة. وعلى الصورة ستة أسطر قصيرة تقول:

«ضيعت أهلها في معركة مأساوية. وضيعت ثقافة أهلها في ذلك المجتمع المتعصب. وضيعت دريها وهي تكافح من أجل العيش». كانت الفتاة في عامها الأول حين ساقها القدر إلى مرابع هنود لاكوتا في «وونددنى كريك» يوم المذبحة الشهيرة (٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٩٠). وهناك قتلت أمها مع مئات الأمهات والأطفال، لكنها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة استطاعت أن تجر جر جسدها فوق اسج وتتوارى بطفلتها عن الأنظار عند ضفة الجدول القريب. بعد أربعة أيام، اكتشف شاهد المذبحة شارل إيستمن (أوهي بيسا) الطبيب الأديب نصف الهندي تلك الفتاة تحت جثة أمها تحاول الرضاعة من ثدييها المتجلد. ثم تهافت الزنابير على تبنيها والاحتفاظ بها كمعجزة تذكارية من تلك المذبحة التاريخية إلى أن انتهت في بيت الجنرال ليونارد كولبي وزوجته كلارا. وبالطبع لم يكن هناك من يعرف اسمها فقد قتل اسمها ودفن مع أمها تحت ثرى وثلج «وونددنى». ولهذا أطلق عليها اسم «زينتكا لانوني»، ويعنى بلغة هنود لاكوتا «المصفورة الضائعة». هكذا فتحت زينتكا عيونها لتعيش حياة مغمسة بالعنصرية في مجتمع «غريب» لم يرحمها. وباستثناء كلارا التي عطف عليها وأحببتها فقد لسمها كل من حولها من الزنابير، وفي مقدمهم الجنرال الذي تخلى عن زوجته ليعاشر مربية البيت. وهذا ما اضطرها إلى الهرب ثلاث مرات، مضت في إحداها إلى مقبرة «وونددنى» الجماعية ورمت بنفسها فوق تربتها. ولما بلغت «المصفورة الضائعة» السابعة عشرة أرسلت لتعيش مع الجنرال وزوجته الجديدة في نبراسكا، فعبث بها. ثم إنها لما حملت رماها في إصلاحية للأحداث ظلت فيها سنة بعد أن وضعت جنيناً ميتاً. وفي تلك السنة تزوجت زينتكا لتكتشف أن زوجها مصاب بالزهرى الذي لم يكن الطب يعرف له شفاء فعانت منه ومن الفقر ومن لسع الزنابير إلى أن ماتت في التاسعة والعشرين. في تموز/ يوليو ١٩٩١ نقل رفات «المصفورة الضائعة» من لوس أنجلوس ليدفن بالقرب من القبر الجماعي لضحايا «وونددنى».

في كتاب «ناشد الرؤى Seeker of Visions» يقول لايم دير Lame Deer

(الغزال الكسيح) حكيم هنودسو:

«رأيت صوراً من مذابح «سونغ ماي» و «ماي لاي» (في فييتنام)؛ رأيت صور الأمهات الذبيحات وأطفالهن يرضعون من الثديهن، وتذكرت جدى غودفوكس (الثعلب الطيب) يخبرنى عن الأم الذبيحة فوق ثلج «وونددنى» وطفلتها التى ترضع من ثديها البارد. إنها صورة واحدة. لم يتغير شئ سوى المكان. كل ما هنالك أن ثدى «ماي لاي» كان حاراً، أما ثدى «وونددنى» فكان بارداً متجمداً. هذا هو الفرق الوحيد، بين صورة الأمس وصورة اليوم.

هذه الصورة، صورة الجرائم الطقسية التى رافقت رحلة الزنايير من مستعمرة بليموث إلى «ماي لاي»، ومن قرى البيكو إلى قرى أفغانستان هى العقد الذى ينتظم كل تاريخ أميركا، وهى تفسيرها وعلتها وسبب وجودها *raison d'etre*. بدون هذه الجرائم الطقسية تفقد فكرة أميركا معناها (فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) فوجودها من وجود هذه الجرائم الطقسية وعدمها من عدمها. إن تكرار هذه الصورة فى كل بقعة غزاها الزنايير ليست مصادفات عبثية. وإن تسمية كثير من الأسلحة والطلعات الجوية بأسماء هندية مثل «توماهوك» و «كريزى هورس» و «رولينغ ثندر» و «هيكورى» ليست إلا تأكيداً على ميتافيزياء كراهية الهنود (الكتمانيين) التى صاغت فكرة أميركا ورافقت نار حروبها على مدى أربعة قرون.

فى ستينيات القرن العشرين كانت ولاعات Zippo فى جيوب الجنود جاهزة لحرق معظم القرى التى مروا بها. وكان الاسم الدلع لقاذفات اللهب من الدبابات أيضاً Zippo. كذلك كان اسم الدبابات التينية التى كانت تقذف النابالم الحارق لتطهير الأرض من «النمل الأبيض» الفييتنامى واسم تلك القنبلة الرشيقة الوثابة Command Vault التى تزن سبعة أطنان ونصف الطن وتمحو كل ما على وجه الأرض فى مساحة تقدر بضعف مساحة ملعب كرة القدم. إنها الصورة التكنولوجية المتطورة من «باريكو» كوتون ماذر ومن صورة قرى البيكو التى تحولت إلى أفران بشرية. وإنها «الأضرار الهامشية» اللازمة دائماً

لتمدين المجاهل ولانتشار الحضارة وطريقة حياتها بين الوحوش. عندما أرسلت الرابطة الأميركية لتقدم العلوم عالم الحيوانات الشهير E. W. Pfeiffer إلى الهند الصينية لدراسة هذه «الأضرار الهامشية» عاد ليروي مشاهداته عن الدمار الجهنمي والتعرية الجماعية لكل ما في فيتنام من شجر ونبات ومحاصيل زراعية، وعن عشرات ملايين الحفر البركانية التي أحدثتها هذه القنبلة الوثابة التي تعتبر مثل سكبينة المطبخ مقارنة بالقنابل التي ألقيت على العراق أو على يوغسلافيا أو أفغانستان (والقادم أعظم). وكانت واشنطن بوست (٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧١) قد نقلت بعض ملاحظات هذا العالم فقالت:

«إن قصف الهند الصينية وحراشها بالقنابل ليس إلا الترجمة الحديثة لسياسة إفناء الجواميس في الغرب الأميركي. إن لهذا البرنامج تأثيراً مدمراً على أنواع الحياة في الهند الصينية أكبر من تأثير الإبادة البيئية في الغرب الأميركي على الهنود الحمر».

شهد الغرب الأميركي شكلاً مماثلاً من هذا التدمير على يد قاتل محترف اسمه كيت كارسون Kit Carson. وكان كارسون قد بدأ حياته صياداً للفراء قبل حوالي قرن من وصول الحضارة إلى مجاهل الهند الصينية، ثم تحول إلى أسطورة شعبية من أساطير التوسع نحو الغرب، وصارت سمعته كما تقول الأسطورة «نظيفة كأسنان كلاب الصيد»، «براقة مثل سكاكينه الطويلة الحادة» التي تصنع اليوم باسمه وتخليداً بذكره. وعلى الرغم من أميته فإنه تولى منصب مفوض الشؤون الهندية حيث استخدم سكاكينه الطويلة وكل الأسلحة المتوفرة لديه لقتل هنود النافاهو وإحراق بيوتهم ومزارعهم وحقولهم ومواشيهم ومحاصيلهم وعنابر ميرتهم في حرب اقتصادية إبادة انتهت باستسلامهم ونزوحهم المعروف بالمسيرة الطويلة من أريزونا إلى نيومكسيكو. إن سكاكين كارسون الطويلة هي السلف الصالح لقنابل الجنرال وستمورلند وصواريخ الجنرال شوارزكوف وقاذفات الجنرال فرانك. صحيح أنه لم يكن لدى هديسي بليموث ولاعات Zippo ولا دبابات

تبنية قاذفة للهب، لكنهم استخدموا كل آلة الدمار المعروفة في عصرهم لتحويل قرى البيكو إلى أفران بشرية. لقد تطورت آلة الموت والحريق. أما «انتشار الحضارة» فما يزال كالיום الأول على صخرة بليموث «نظيفاً كأسنان كلاب الصيد».

قبل أن يصدر رمزي كلارك Ramsey Clark وزير العدل السابق كتابه عن جرائم أميركا ضد الإنسانية في حريها على العراق، كانت الفرقة الجوية القتالية السابعة والسبعون قد أنتجت ووزعت كتاب أناشيد تصف فيه ما ستفعله الفرقة في «الخليج»، وتذر هذا «المتوحش القمئ».. «خدن الأفاعي» بأن يستعد للإبادة فيما ينتهي أحد هذه الأناشيد بخاتمة تقول: «الله يخلق أما نحن فنحرق الجثث Allah create but we cremate». والكتاب كما يصفه كريستوفر هيتشنس في The Nation خليط من السادية والفحش. ومعظمه تشنيع وتشهير وشتائم بذيئة للعرب والمسلمين باعتبار أنهم أعراق منحطة و «حشرات» و «جرذان» و «أفاع». وهي بذاءات مقتبسة بالتأكيد من كتاب «حياة محمد...» لجورج بوش (الجد الأكبر ١٧٩٦ . ١٨٥٩) الذي يضم أشنع ما كتب عن العرب والمسلمين والنبى محمد في الولايات المتحدة. وقد اعترف تورمن شوارزكوف في عدة مقابلات تلفزيونية بأنه كان يريد لها معركة فناء، وأشار إلى أنه كان يخطط لأن تكون على شكل معركة كاناي Cannae القرطاجية التي يطلق الطليان على موقعها اليوم اسم «حقل الدم Campo di Sanguie». ومن يدري ما ستكشف عنه وثائق هذه الحرب وما تلاها من حصار حين ترفع السرية الكاملة عنهما يوماً يتطاير فيه الريش مع رؤوس من تبقى من هذا «الجنس اللعين»!

حرب قذرة

- يوم الخميس ٢٧ مارس.. صرّح «جيف هون» وزير الدفاع البريطاني بـ «أن احتمال سقوط ضحايا بين المدنيين المزل في العراق سيزيد خلال الأيام القادمة» وكان تصريحه هذا أمام البرلمان البريطاني.
- وفي نفس اليوم فجر متحدث عسكري بريطاني مفاجأة ضخمة حيث اعترف بأن سكان البصرة نظموا إنتفاضة وإضراباً عاماً ضد القوات الأمريكية والبريطانية مما دفع هذه القوات لإطلاق النار على السكان المسيطرة على الوضع.
- ومع تواتر أبناء المقاومة العراقية الباسلة، إرتكبت القوات الأمريكية مذابح جديدة في النجف بعد ما إقترفه من جرائم يندى لها الجبين في الناصرية حيث وردت أنباء بأن مشاة البحرية المدعومة بالدبابات قتلت حوالي ٦٥٠ عراقياً عند مدينة النجف الشيعية.
- وبتاريخ ٢٠ مارس سقط صاروخ أمريكي على سوق النصر في حي الشعلة ببغداد مما أدى إلى إستشهاد ٦٨ عراقياً من المدنيين.
- وبنفس التاريخ قامت الدبابات البريطانية بتدمير ٧٥ ألف طن من حليب الأطفال والشاي والسكر.
- وهكذا يتضح أن هذه الحرب لا يمكن أبداً أن تكون حرب تحرير أو

حرب نظيفة.

● وفي معركة مطار صدام أستشهد حوالى ٣٠٠٠٠ جندي غير الجرحى وذلك فى حرب إبادة لجيش لا يملك أى غطاء جوى.

كل ما سبق لا يُعد شيئاً بالمقارنة بالمجازر الوحشية التى ارتكبتها القوات الأمريكية فى البريطانية فى العراق.. والتى لم ينكشف عنها الحجاب حتى الآن.. وربما يوماً ستتكشف الحقيقة المدعومة بالإحصائيات.. وكل ما نعرفه الآن أنه تم إرتكاب جرائم حرب. وحرب إبادة ولم يكن أبداً الهدف منها تحرير هذا الشعب بل ذبحه وكتبه وسرقة ثرواته.

وشهدا شاهدون منهم

جرائم بوش وتابعه بلير

لا يريد الشعب البريطاني تلك الحرب التي شنت على العراق بالأمر، ولم يحدث أبداً منذ أن أصبح الرأي العام اعتباراً سياسياً مهماً أن اتجهت هذه الأمة نحو الحرب، دون أن تساندها سوى قلة من الشعب.

أعلن عشرات الآلاف من المتظاهرين هذا الأمر في أكبر تظاهرة عصيان مدني في شوارع عواصمنا ومدننا، وستظاهر المزيد في لندن من أجل السلام، ولا تلقى آمال توني بلير في تلقى الدعم القومي للحرب، أذا أنا صاغية.

إن رفض جهود الحكومة لتبرير الهجوم على العراق على أنه يستند هذه المرة إلى مطالب شعبية واضحة، لا يعمل سوى معنى واحد، أننا لا نستطيع ولن نقوم بمساندة هذه الحرب والمنطق البسيط إذا كان من الضروري أكثر أن تدان جريمة تتم بالفعل؟ ليس مطلوباً ممن يعارضون الحرب أن يقوموا بتبرير موقفهم وإنما التبرير مطلوب ممن ظلوا يرددون أنهم لن يتحركوا دون موافقة من مجلس الأمن، وغيروا من موقفهم.

سيلعب الوزراء بالطبع على وتر إعجاب العديد من الشعوب بالقوات البريطانية، لكن تبقى حقيقة أن تلك القوات لا تحارب من أجل المصالح البريطانية ولا لصالح أي من شعوب العالم لكنها تحارب من أجل إدارة أمريكية خطيرة ومندفعة أصرت توني بلير على جعل بلادنا تابعة لها.

على كل حال كان رئيس الوزراء البريطاني محقاً عندما قال إن إدارة هذا العالم ستغير شكل السياسات العالمية في العشرين عاماً القادمة. وربما يعنى أنه سيصبح هناك جيل يدير الشئون الدولية بتجاهل وازدراء تام للقانون وسلطة الأمم المتحدة إضافة إلى تبعيته التامة لقوة الولايات المتحدة الإمبريالية المتطرفة.

لا تشاركه القوى العظمى الأخرى مثل فرنسا وروسيا والصين وألمانيا هذه الرؤية وأغلب دول العالم لا تبدو على استعداد لتقبل الهيمنة الأمريكية عليها اليوم، مثلما رفضت من قبل الرضوخ لقهر الامبراطورية البريطانية منذ قرن مضى.

ما ينسأه بوش أو يتناساه، أن مثل تلك الحروب في الماضي قد أدت إلى حروب أكثر امتداداً وخطراً: لذلك حان الوقت لإعلان ذلك. وإلا أصبحنا مشتركين في مؤامرة تكرار بعض أسوأ الجرائم في القرنين التاسع عشر والعشرين.

مستولية بلير عن تلك الأزمة هي أمر لا يمكن مداراته بالأكذوبة التي تدعى أن الفرنسيين هم من يتحملون مسئولية ذلك الخطأ. إن رئيس الوزراء البريطاني قد فشل في الحصول على قرار مجلس الأمن الثاني المؤيد للحرب ضد العراق. نظراً لأن غالبية أعضاء المجلس كانوا يعارضونه إضافة إلى عدم اكتراث الولايات المتحدة أصلاً بذلك القرار.

لو كانت بريطانيا قد تبنت ذات الموقف الحازم الذي اتخذته فرنسا وألمانيا منذ البداية لأمكن التوصل إلى حل سلمي للأزمة، لكنها - في المقابل - قررت أن تريح أولئك الرجال المتوحشين الذين يتولون مقاليد الأمور في واشنطن دون أن يعبا بأى عزلة دولية تسببها سياساتهم.

رئيس الوزراء نفسه هو الذى صار معزولاً، يعارضه معظم أولئك الذين انتخبوه كي يعبر عنهم ويرفض قراره كل خبير في القانون الدولي، كما

ترفضه كل دولة كان يفكر في جعلها دولة صديقة.

إن سير الأحداث نفسها في الخليج أمر لا يمكن التنبؤ به، يراهن بلير على عجز معارضي الحرب وعدم قدرتهم على التحرك. لكنه يعلم أيضاً أنه لا يمتلك أية فرصة للخطأ في المجالين السياسى والعسكرى.

وفي الوقت الذى يبدو فيه حزب المحافظين مؤيداً للفرز، يبدو الرأى العالم غير مستعد لأن يفقر مصرع الجنود البريطانيين ولا المدنيين العراقيين إضافة إلى أنه لم يكن مقتنعاً بحتمية الحرب في المقام الأول.

كان من الممكن تجنب ذلك كله لكن تونى بلير اختار أن يدين بالولاء لرئيس الولايات المتحدة مضحياً بأفراد شعبه.

أندرو موارى

«الجارديان»

الله لم يفض بوش

يستطيع بوش على عكس أغلب حلفائه أن يدعى أن شعبه يؤيده في حربه ضد العراق، والسؤال الآن كيف جرؤ بوش ومن معه على تحدى الأمم المتحدة والسفيرة من قراراتها والاستقلال برأيهم بمبدأ عن بقية الأعضاء؟ لقد عبر بوش عن استهزائه بالأمم المتحدة وهاجم هو وتونى بليز فرنسا حليفهم السابقة لمجرد معارضتها غزو العراق وإثناء شعبه.

لم تكف أمريكا بتجاهل الرأى العام العالمى، لكنها غامرت بسمعتها العالمية عندما اعتمدت على الأكاذيب لتبرر هجمتها الشرسة على العراق، كذبت عندما أعلن وزير دفاعها رامسفيلد أن العراق هو الذى خططت وساهمت فى تنفيذ أحداث ١١ سبتمبر، ثم عجز عن تقديم أدلة مقنعة تثبت ما ادعاه، كذبت أيضاً عندما تجاهل بوش إخبار العالم أنه بعد حرب أمريكا السابقة ضد العراق قام والده بإعطاء حكومة صدام ١,٢ مليار دولار، وكذبت أمريكا كذلك عندما قال بوش إن العراق يمتلك أسلحة نووية ولكن مفتش الأمم المتحدة أكدوا أكثر من مرة أن العراق خال من هذه الأسلحة.

وصل استهتار أمريكا إلى أنها شوهدت جهود المفتشين الدوليين واهتمتهم بالتقصير لمجرد فشلهم فى العثور على أدلة تثبت ادعاءات بوش الكاذبة، وعدم تقديمهم للإدارة الأمريكية حجة لتعلن الحرب على العراق.

إننا نعيش لحظة مرعبة من تاريخ البشرية، فالولايات المتحدة تتصرف

وكان هناك وحيا إليها يعطى لها الحق في إعادة رسم خريطة البشرية، وهي تفعل ذلك بإصرار دون أن تمى الدرس الذى تجاهله الغزاة القدامى وهو أن الشعوب فى حاجة إلى صنع تاريخها بنفسها. وسواء كانت الحرب الدائرة الآن طويلة أو قصيرة، فإنها فى النهاية حرب دموية.. ومن بين ما ستفعله أنها ستجعل أمريكا على يد الرئيس بوش الذى وصل إلى البيت الأبيض بصعوبة أول دولة استعمارية فى القرن الواحد والعشرين، والدليل على ذلك ما قاله بوش وبصراحة إنه يسمى إلى تغيير النظام الاقتصادى والثقافى بالعالم الإسلامى.

لقد فقدت أمريكا تعاطف العالم الذى حصلت عليه بعد أحداث ١١ سبتمبر، وتحولت إلى دولة مكروهة، ليس ذلك لأن العالم لا يستطيع أن يرى وحشية صدام حسين، ولكن لأن الشعوب التى تظاهرت ضد أمريكا.. أيقنت أن الدولة العظمى تحولت إلى كيان استعمارى مخيف!

روبرت شـهـر

لوس أنجلوس تايمز

نحن نضرب وهم يتألمون هذه هي الحرب

يصف وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد الهجوم الأمريكي على العراق بأنه «حملة جوية لم يسبق لها مثيل»، ولا أعتقد أنه من الواجب أن يحاول ترديد ذلك القول لضحي سهيل ذات الخمسة أعوام.. كانت تلك الطفلة تنظر إلى صباح أمس، بمخاط يسيل من أنفها وكآبة عميقة ترسم خطوطها على ملامحها وهي تحاول بائسة تحريك النصف الأيسر من جسدها. كان الهجوم الصاروخي الذي انفجر قرب منزلها بضاحية الرضوانية بالعراق، قد تسبب في إصابة ساقيها الصغيرتين وعمودها الفقري بشظايا، تسببت في أن تفقد كل قدرة على الحركة في ساقيها اليسرى.

جوارها ترقد أمها على سرير آخر مضمدة ساقيها اليمنى التي حطمتها الفارات. وبشكل ما، تؤمن أم ضحى بأن ابنتها ستتعافى من حالة الشلل تلك، حتى وإن كانت ساقيها ساكنتين جنباً إلى جنب كانت ضحى ضمن أول مائة ضحية عراقية للقصف الأمريكي على المدينة تصل إلى مستشفى المستصرية الجامعي. وجرح سبعة آخرون من أفراد عائلتها في الهجوم نفسه وكانت أصغر أفرادها، البالغة من العمر عاماً واحداً ترضع من أمها لحظة وقوع الهجوم.

إن تلك القذارة التي تحف زيارات المستشفى أمر يثير الاشمئزاز.. نحن نضرب وهم يمانون، ثم نعود نحن لنلتقط صوراً للأطفال المصابين.. لقد قرر

وزير الصحة العراقي عقد مؤتمر صحفي علنه يكشف عن الطبيعة الوحشية للهجوم الأمريكى.

يردد الأمريكيون أنهم لا يتمنون إيذاء الأطفال.. بينما تنظر ضحى سهيل إلى وإلى أطبائها طلباً للطمأنينة، كأنها تظن أنها لن تلبث أن تصحو من كابوس بشع، لتجد أن ساقها تتحركان، وأنها لا تشعر بأى ألم.

لذلك، رجاء دعونا ننسى ولو للحظة تلك الدعاية الرخيصة التى يقوم بها النظام الأمريكى وتلك المساواة الأخلاقية الرخيصة الأخرى للسيد بن بوش ورامسفيلد، فلننس ذلك ولنأخذ أنفسنا فى جولة حول مستشفى المستنصرية الجامعى. وسندرك أن الحرب فى واقع الأمر لا تدور حول النصر وهزيمة العسكريين، ولا حول تلك الأكاذيب المتعلقة بقوى التحالف التى يثرثر صحفيونا المحاصرون اليوم عن أنها تضم الأمريكيين والبريطانيين وحفنة من الاستراليين. إن الحرب، حتى وإن كانت تمتلك شرعية دولية وهو الأمر الذى لم يتم هنا، تدور فى الأساس حول المعاناة.

٢ خذوا عندكم مثلاً: أمل حسين ذات الخمسين عاماً: امرأة مسالمة، يملأ الوشم ذراعيها وقدميها، لكنها ترقد فى المستشفى اليوم وكدمات زرقاء كبيرة تملأ كتفيها. ربما تضاعف حجم تلك الكدمات الآن.. كانت أمل فى زيارة لابنتها عندما وقع القصف الأمريكى الأول على بغداد، وتروى أمل تجربتها قائلة: «لم أكد أنزل من سيارة الأجرة حتى وقع انفجار هائل، ورأيت دمي متناثراً فى كل مكان على ذراعى وساقى وصدرى، وبالفعل مازالت أمل تعاني من عدة جروح قطعية فى صدرها.

فى الغرفة الثالثة ترقد إسراء رياض، وإصاباتاها معروفة مصادرها بدقة، تلك الجروح الطولية العميقة فى ساقها جاءت من فرارها المذعور من منزلها عندما بدأ القصف. أما إيمان على فهمى فى الثالثة والعشرين من العمر وتعانى من جروح قطعية فى الجذع والحوض.. مازالت نجلاء حسين عباس تحاول أن تغطى الكدمات الزرقاء التى تغطى رأسها بإيشارب أسود،

لكها لا تستطيع فعل شئ حيال الكدمات التي تغطي سائر جسدها: بعد قليل من رؤية ذلك كله، تبدو لك كلمة «جروح قطعية مضاعفة» أمراً متكرراً روتينياً، كأنه مرض عادي، وربما كان الأمر كذلك بالنسبة لشعب يعاني من الحرب منذ أكثر من ٢٠ عاماً.

لذلك كله طرحت تساؤلاً على نفسي بالأمس، هل كان ذلك كله بسبب أحداث ١١ سبتمبر؟ هل كان ذلك كله هجوماً مضاداً على من هاجمونا؟ أراهن على أن ضحى سهيل وإيمان على ووحيد حسنى لم يكن لهم شأن بتلك الجرائم البشعة ضد الإنسانية، من الذى قرر أن على هؤلاء الأطفال الأبرياء وهؤلاء النساء الشابات، أن يعانون من أحداث ١١ سبتمبر؟.. إن الحروب تكرر نفسها، وفي كل مرة نزور فيها أحداً ممن أصبناهم يتردد في أذهاننا ذات السؤال.

أذكر أن الصحفيين الأمريكيين في ليبيا عام ١٩٨٦ كانوا يكررون سؤالاً واحداً على المصابين: «هل تسببت نيران مدفعيتكم المضادة للطائرات في إصابتكم؟».. ومرة أخرى عام ١٩٩١ «سألنا» العراقيين ذات السؤال. وبالأمس وجد طبيب عراقي نفسه في مواجهة سؤال أحد مراسلي الإذاعة البريطانية: «هل تعتقد يا دكتور، أن بعض هؤلاء المصابين يمكن أن يكونوا قد أصيبوا بالنيران العراقية؟»

هل لنا أن نضحك أم أن نبكى على ذلك، هل ينبغى علينا أن نلومهم «هم» على إصابتهم؟ ما

لقد غزا «زينوفون»، العراق من الجنوب، بينما غزاها الإسكندر من الشمال، واكتسح المفلول بغداد، ثم جاء الخلفاء ومن بعدهم العثمانيون ثم البريطانيون. ثم ذهبوا جميعاً.. والآن يأتي الأمريكيون

ينبغي علينا هو أن نسأل: لماذا تهون تلك القوات الأمريكية مما فعلته:

٢٢٠ ضحية في بغداد وحدها.. جاءت إسرائ رياض من منطقة الصيادية، حيث تتواجد الكثير من الحواجز العسكرية، أما مسقط رأس نجلاء عباس فهي منطقة Risallah، حيث توجد قرى تمتلكها أسرة صدام حسين، الإخوان «سليم» الصغير أن يعيشان في شيرتا الخامسة حيث يوجد مخزن للمدرعات العسكرية، وربما كانت تلك هي المشكلة: أن الأهداف العسكرية موزعة على طول المدن، والفقراء - يعيشون في منازل خشبية رخيصة، تتهم بسهولة تحت وطأة القصف.

إنها نفس القصة القديمة: في كل مرة نشن فيها حرباً فإننا نقتل في غمارها مدنيين كثيراً، مهما كانت ثلثتنا حول اهتمامنا وحرصنا على المدنيين.

د. حبيب الهزاعى، الذى تلقى تعليمه في جامعة ادنبرج، أحصى ١٠١ مريض من أصل ٢٠٧ مصابين من جراء القصف في مستشفى فقط، ٨٥ منهم كانوا مدنيين، ٢٠ منهم كن نساء، ومنهم ٦ أطفال، و فقط ١٦ عسكرياً. مات شاب وطفل لا يزيد عمره على ١٢ سنة أثناء إجراء عملية جراحية لانقاذهما ولن يعلن أحد عدد العسكريين الذين قتلوا في هذا الهجوم.

كانت القيادة في شوارع بغداد أمس تجربة متفردة، كانت الأهداف منتقاة بعناية، وحتى إن نتج عن إصابتها إيذاء مدنيين. لم أر سوى قصر رئاسى واحد تملأ أركانه تماثيل للقائد المرمى «صلاح الدين» يبلغ طولها ٤٠ قدماً، لكن بدلاً من وجه القائد المرمى كانت التماثيل تحمل وجه صدام ووسط الحديقة توجد حفرة سوداء عميقة، ناجمة عن تدمير المبنى، الذى كان يضم وزارة الدفاع الجوى، المقابل للقصر.

لكن في الخارج قرب البوابة كانت هناك عدة أكياس رمل متراصة، ووراءها يقف عسكريان عراقيان حسنا المظهر، على أهبة الاستعداد للدفاع عن وزارتهما من العدو، والذى دمرها بالفعل.

فى الصباح، لم يجرؤ سائق واحد على النظر مطولاً إلى القصر الجمهورى، ولا إلى مبنى وزارة الدفاع الذى يتصاعد منه الدخان، كانت النيران مازالت تتصاعد منهما بعد أكثر من ١٢ ساعة من القصف، وبدا الأمر وكأن القصور المحترقة والوزارات المهدمة وسحب الدخان المتصاعد، من مفردات الحياة العراقية اليومية، لكن من جانب آخر، لا يبدو أن أحداً فى العراق يجرؤ على النظر مطولاً إلى تلك المباني تحت ظل النظام الحاكم، أليس كذلك؟ والعراقيون قد فهموا جيداً ما يعنيه ذلك كله.

عام ١٩٩١ هاجم الأمريكيون معامل تكرير البترول ومحطات الكهرباء والمياه، وخطوط الاتصالات، لكن بالأمس كانت الحياة مستمرة فى بغداد، الهواتف الأرضية تعمل، والانترنت كذلك، وكانت الطاقة الكهربائية تعمل على أكمل وجه، وبقيت الجسور فوق نهر دجلة دون أن تمس أو تدمر. لأن بالطبع «لو» كان الأمريكيون قد وصلوا هنا، فلا بد أنهم سيكونون بحاجة إلى شبكة اتصالات قوية، وكهرباء ووسائل مواصلات إن ما جرى ليس تدليلاً للشعب العراقى قدر ما هو تهديد لمن يفترض بهم أن يصبحوا سادة العراق الجدد.

لقد صدرت الصحيفة العراقية اليومية الأولى أمس فى أربع صفحات فقط، بكم كبير من المقالات التى تشيد بـ «صمود» الشعب العراقى، و«صمود» هى ذات الكلمة التى سميت بها الصواريخ التى دمرها العراق جزئياً قبل أن يرغب بوش مفتشى الأمم المتحدة على مغادرة العراق. وكان مانشت الصحيفة يقول: «أيها الرئيس سيأتى النصر على أيد عراقية».

ومرة أخرى نرى أنه لم تكن هناك أية محاولة من قبل الولايات المتحدة لتدمير مبنى التلفزيون لأن الأمريكيين يريدون، على الأرجح استخدامه لدى وصولهم.

وأثناء القصف الأمريكى يوم الجمعة الماضى، ظهر على الشاشة قائد عسكري عراقى يطمئن الأمة ويبشرها بالنصر، وأثناء حديثه، ظهرت قاذفات الصواريخ الأمريكية وهى تقصف مبنى وراه وتشوش إرسال الكاميرا.

إذن.. إلى أين يقودنا ذلك كله؟ لقد بقيت في الساعات الأولى من صباح أمس، أتأمل القصر الجمهوري بدماره الكئيب عبر نهر دجلة، وإلى مبنى وزارة الدفاع المهدم بجواره، كانت هناك أنقاض دمار واسع، والسماء تشتعل بالنيران والدخان، كان الأمر أشبه بأسطورة. Tsesiphan تدمر، Mesopotamq لحظة تدميرها كما شوهدت منذ آلاف الأعوام.

لقد غزا «زینوفون» المراق من الجنوب، بينما غزاها الإسكندر من الشمال، واكتسح المغول بغداد، ثم جاء الخلفاء ومن بعدهم العثمانيون ثم البريطانيون. ثم ذهبوا جميعاً.. والآن يأتي الأمريكيون.

إن الأمر ليس له علاقة بالشرعية، ولكن بأمر أكثر جاذبية وبريقاً.. أمر يدرك صدام نفسه أهميته جيداً.. إنه نوع خاص من القوة.. ذات القوة التي كان كل غاز للمراق يأمل في أن يثبت نجاحه في قهره بأسلوبه الخاص، في أرض الحضارات القديمة.

أمس، أشعل العراقيون النيران في خنادق النفط الهائلة حول بغداد أملاً في تضليل نظام التوجيه في صواريخ كروز.. الدخان في مواجهة العقول الإلكترونية.. وبدأت الفارات الجوية تدوى في الساعة ٢٠، ٣ بتوقيت لندن. لتأتي بعدها أصوات الانفجارات المعهودة.

روبرت فيسك

مراسل الإندبندنت في بغداد

سیدی الرئيس بوش: شكراً على هذه المهزلة!

سیدی القائد العظيم جورج بوش شكراً..

نشكرك لأنك أظهرت للجميع ذلك الخطر الذي يمثله صدام حسين بعدما كاد كثيرون منا ينسون استخدامه للأسلحة الكيماوية ضد شعبه وضد الأكراد والإيرانيين.. إن صدام ديكتاتور متعطش للدماء أحد أبرز صور الشر في عالم اليوم.

لكن.. ليس ذلك هو السبب الوحيد لشكرك ففي خلال أول شهرين من عام ٢٠٠٣ نجحت في أن تظهر للعالم عدة أمور مهمة تستحق من أجلها إمتناني وشكري.

لذلك وبينما ترد إلى ذهني أغنية تعلمتها وأنا طفل أود أن أقول.. شكراً لك.

شكراً لأنك أثبت للجميع أن البرلمان التركي ليس قابلاً للبيع لا هو ولا الشعب الذي يمثله ولو بمقابل ٢٦ مليار دولار.

شكراً لأنك أظهرت للعالم تلك الفجوة الموجودة بين قرارات المسئولين عن الحكم وبين رغبات وآمال الشعوب.. شكراً لأنك أظهرت للعالم أن توني بلير وخوسيه ماريّا أزناّر لا يقيمان أي وزن أو احترام لأراء من انتخبوهما إن أزناّر بالذات يمتلك قدرة هائلة على تجاهل حقيقة أن ٩٠٪ من الأسبانيين يعارضون الحرب، بينما لم يهتز بلير أمام المظاهرات التي اجتاحت إنجلترا

والعالم أجمع في الثلاثين يوماً الماضية.

شكراً لأنك جعلت تونى بليز مضطراً للذهاب إلى البرلمان البريطاني مسلحاً بملف من «فبركة»، طالب عمره عشرة أعوام وقدمه على أنه أدلة دامغة جمعها المكتب الخامس البريطاني.

شكراً لأنك سمحت لكولين باول بأن يجعل من نفسه أضحوكة عندما عرض على مجلس الأمن صوراً أنكر هانز بليكس صحتها قبل عشرة أيام من عرضها. شكراً لأنك بعد كل الجهود التي بذلتها للترويج للحرب أعلنت الدول العربية المنقسمة عادة وللمرة الأولى في اجتماعها بالقاهرة في فبراير أعلنت عن اتحادهما لرفض وإدانة كل صور الفزوة،

شكراً لموقفك «الخطابي» الذي أعلن أن هذه هي فرصة الأمم المتحدة كي تثبت مصداقيتها. موقف جعل أكثر الدول خنوعاً لتبني اتجاهاً معارضاً لأي هجوم على العراق.

شكراً لسياستك الخارجية التي دفعت وزير الخارجية البريطاني جاك سترو إلى القول بأنه في القرن الحادي والعشرين لابد أن يكون للحرب مبرر أخلاقي وهو ما أفقده مصداقيته تماماً.

شكراً لمحاولتك تقسيم أوروبا التي تتجه الآن نحو الوحدة، كان ذلك إنذار بأن تلك الوحدة لن تتم بسهولة.

شكراً لأنك أنجزت أمراً عجز كثيرون عن إتمامه طوال ذلك القرن وهو جمع ملايين الأشخاص من كل البلاد والأعراق ليحاربوا في سبيل فكرة واحدة حتى وإن كانت متعارضة مع فكرتك ونظرتك أنت.

شكراً لأنك جعلتنا جميعاً نشعر بأن كلماتنا لن تسمع وعلى الرغم من ذلك سنكون أقوى بقولها في المستقبل.

شكراً لتجاهلك لنا وتهميشك كل من يعارضون قرارك لأن الأرض يرثها المستبعدون.

شكراً لأننا لولاك لما تبلورت قدرتنا على التحرك ربما لم نستفد كثيراً
اليوم: لكن الأمر حتماً سيفيدنا غداً.

والآن بعدما انتهت كل الأساليب التي يمكن وقف طبول الحرب بها أود
أن أقول الجملة ذاتها التي قالها ملك أوروبي قديم لأحد الفزاة هي: «ادع أن
تتعم بصباح جميل وأن تشرق الشمس على جيشك المسلح لأنني عند الظهيرة
سأهزمك».

شكراً لأنك سمحت لنا نحن جيش الرجال المجهولين الذين يملأون
الشوارع في محاولة لإيقاف أمر بدأ بالفعل بأن نعرف معنى الشعور بالمعجز
وأن نتعلم كيفية تحويل ذلك الشعور إلى أشياء أخرى والتعامل معها بشكل
فعال.

لذلك استمتع بيومك وكل نصر يأتي لك فيه.

شكراً لعدم استماعك إلينا والسخرية منا.. لكن فلتعلم أننا نحن نستمع
إليك.. ولن ننسى كلماتك.
شكراً جزيلاً لك.

باولو كويلهو

روائي برازيلي شهير

أيام العار في بريطانيا

اليوم هو أحد أيام العار للجيش البريطاني، فقد أعلن الجيش عن أن مدينة البصرة العراقية التي يصل تعداد سكانها إلى ٦٠٠ ألف نسمة تعد «هدفاً عسكرياً، لن تقرأ هذه الكلمات في وسائل الإعلام التي تدعى أنها تعبر عن بريطانيا وتتحدث باسمها، ولكنها كلمات صادقة، فمع هذا الإعلام سيكون العار لنا بتصديق من بوش وبليز.

بعد أن قام البريطانيون والأمريكيون بتدمير إمدادات المياه والكهرباء بالمدينة وقطعوا عنها طرق الإمدادات الغذائية وفشلوا في اختراق دفاعاتها البشرية يستعدون الآن لحصار ثاني أكبر المدن العراقية وهي المدينة التي يمثل الأطفال ٤٠٪ من سكانها يا لها من لحظة كئيبة في تاريخ بريطانيا. فنحن نرى الآن دولة فقيرة تتعرض لهجوم من قوة عظمى وهي الولايات المتحدة التي تمتلك ثروة لا يمكن تخيلها وأسلحة تعد الأكثر تدميراً في العالم تساعدنا في ذلك بريطانيا الحليفة التي تفتخر بأن جيشها هو أفضل جيش محترف في العالم وبعد أن صدق القادة المسكريون ادعاءاتهم أصابهم الذهول من صمود المقاومة العراقية.

فقد حاولوا التقليل من شأن الميليشيات التي تدافع عن البصرة بقصص كاذبة بأن مقاتلي هذه الميليشيات يقاتلون بعضهم البعض.

والحقيقة أنهم يحاربون كالأسود للدفاع عن وطنهم وليس عن الطاغية وهي حقيقة ستكون محل إعجاب الغالبية العظمى من البريطانيين المذهبيين والمقارنة التاريخية التي يخشى توني بليير ومروجو ادعاءاته منها هي البريطانيون الذين دافعوا عن أنفسهم ضد الاحتلال منذ ٦٠ عاماً الآن صرنا من يقوم باحتلال أراضى الغير.

وأمس، قال بليير: إن ٤٠٠ ألف طفل عراقي ماتوا خلال الأعوام الخمسة الماضية نتيجة سوء التغذية وقال إن كميات هائلة من المساعدات الإنسانية والمياه النظيفة تنتظر في الكويت إن سمح النظام العراقي بوجود ممر آمن لهذه المساعدات.

وفي الواقع هناك أدلة قاطعة عديدة بما في ذلك ما نشره صندوق الأمم المتحدة للطفولة يوضح أن السبب الرئيسي لموت هؤلاء الأطفال يرجع للحصار المؤلم الذي استمر العراق يعاني منه لمدة ١٢ عاماً بسبب أمريكا وبريطانيا.

وحتى يوليو الماضي، منعت واشنطن وصول إمدادات إنسانية تقدر قيمتها بنحو ٥ مليارات دولار رغم موافقة الأمم المتحدة عليها ودفع الحكومة العراقية لقيمتها، ووصف مساعد الأمين العام للأمم المتحدة السابق دينيس هاليداي والذي أرسل للعراق لإعداد برنامج «النفط مقابل الغذاء» وصف هذه الإجراءات بأنها «ليست سوى مذبة»، وهي كلمات مشابهة لما استخدمها خليفته «هانزفون سبونيك».

وقد استقال هذان الرجلان احتجاجاً على ذلك وقالوا إن الحصار دعم قوة صدام حسين ووصف كلاهما بليير بالكاذب.

والآن يطلق جنود بليير صواريخهم لإضعاف مقاومة البصرة، سرت في شوارع المدينة في طريق تمزق إلى قطع بسبب الصواريخ الأمريكية. وكانت الضحايا من الأطفال بالطبع لأن الأطفال دائماً ما يكونون على وجهى عند

وقوفى فى ملعب بأحد المدارس مع مدرس ومئات من الصغار الذين عانوا من سوء التغذية.

هبت الأتربة علينا من ساحات القتال الجنوبية لحرب عام ١٩٩١ والتي لم يتم تنظيفها لأن الأمريكيين والبريطانيين حرموا العراق من المعدات المتخصصة اللازمة للقيام بذلك.

وقال لى الدكتور جواد على إن الفبار يحمل معى بذور موتنا . وفى أقسام الأطفال بمستشفى البصرة الرئيسى، تعد حالات الوفيات العديدة نتيجة لأنواع غير معروفة من السرطان أمراً مألوفاً ويشك المتخصصون فى أن نصف سكان جنوب العراق سيموتون نتيجة السرطان المرتبط باستخدام أسلحة الدمار الشامل الأمريكية والبريطانية المتمثلة فى القذائف والصواريخ المصنوعة من اليورانيوم المنضب.

ومرة أخرى، قام الأمريكيون بنشر ما أسماه الأستاذ دوج روك الطبيب السابق بالجيش الأمريكى «أحد أشكال الأسلحة النووية التى تلوث الجميع وكل شيء».

واليوم، تحتوى كل طلقة تخرج من الدبابات الأمريكية على ٤,٥٠٠ جرام من اليورانيوم الصلب وتتسبب جزيئاتها التى يمكن استنشاقها أو بلعها مع الطعام فى الإصابة بالسرطان.

وقد تم التعميم على استخدام هذه الطلقات المدفعية، وكذلك على استخدام نوع جديد من القنابل العنقودية.

ومرة أخرى حرم البريطانيون من معرفة حقائق الحرب.

وتظهر صور الأطفال الجرحى فى المستشفيات على شاشات التلفزيون ولكنكم لا ترون نتائج إسقاط القنابل العنقودية التى تطلقها طائرات التورنيدو ولا ترون أيضاً الأطفال الذين مزقتهم الصواريخ والذين تحولت أقدامهم إلى قطع من الدماء.

فهذه الصور تعد غير مقبولة لأنها تسبب مضايقات للمشاهدين والسلطات لا ترغب في ذلك، والصور التي لا ترونها هي الحقيقة.. فالآباء العراقيون يضطرون لرؤية أبنائهم المشوهين إذن لماذا لا نرى تلك الصور رغم أن هذه الحرب شنت باسمنا؟

لماذا لا نشاركهم آلامهم؟ ولما لا نرى الطبيعة الحقيقية لهذا الفزو الإجرامي؟ إن كان لديكم جهازاً لالتقاط القنوات الفضائية حاولوا العثور على قناة الجزيرة والتي ميزت نفسها بتفطيتها، فعندما قصف الأمريكيون أفغانستان دمرت إحدى قنابلهم الذكية مكتب الجزيرة في كابول. أعتقد قليل من الناس أن الأمر مجرد حادث عابر، ولكن القصف كان بالفعل شهادة على الاستقلالية الصحفية للقناة.

تذكروا أن من يعارضون الحرب لا يحتاجون إلى تبرير موقفهم، بصرف النظر عن دعوات بلير «لدعم قواتنا» وهناك طريقة واحدة لدمج تلك القوات وهي إعادتهم إلى وطنهم دون تأخير.

ففي عام ١٩٣٢، تخلص العراقيون من بقايا حكام الاستعمار وفي عام ١٩٥٨ تخلصوا من العرش الهاشمي.

وبين العراقيون أن بإمكانهم الإطاحة بأي ديكتاتور يحكمهم. إذن لماذا لم يكن بمقدورهم الإطاحة بصدام؟

السبب هو أن البريطانيين والأمريكيين قاموا بتسليحه وحمايته لأن ذلك كان يناسبهم. وعندما ملوا منه، رأوا أنهم سيكونون البديل الوحيد لحكمه والمستفيدين الوحيديين من موارد العراق. وقد عملت الإمبريالية دائماً على نفس هذه الصورة.

فالعراق الجديد كما يسميه بلير سيكون له عدة نماذج مثل هايتي وجمهورية الدومينيكان ونيكاراجوا. وهي كلها مناطق فتحها الأمريكان وحكومتها حتى سمعت واشنطنون لديكتاتوريات خبيثة بتولى الحكم فيها.

وقد جاء صدام إلى الحكم بعد أن ساعده الأمريكيون على إقامة حزب البعث عام ١٩٧٩. وكما يقول ضابط المخابرات المركزية الأمريكية المسئول عن ذلك «كان ذلك انقلاب الحكم المفضل لى».

ولنضع فى اعتبارنا المرارة التى تكمن خلف تلك الحقائق عندما تسمع بعد ذلك عن صدق بليز وعندما ترى - إن أمكنك - الصور غير المقبولة للأطفال الذين لقوا حتفهم باسمك وبهدف ما يطلق عليه رئيس الوزراء «وطنيتا البسيطة» حقاً إنه نوع من الوطنية وصفه تولستوى «بأنه لا يعدو كونه وسيلة فى أيدي الحكام لتحقيق أطماعهم وتحقيق رغباتهم الخبيثة أما بالنسبة للمحكومين فإنها وسيلة تهدر بها كرامتهم وتنتهك عقولهم وضمايرهم».

جون بيلجر

كاتب بريطانى

بوش « مجرم حرب » عليه ألا يذهب إلى بلجيكا

لقد كان قراراً صائباً من كندا عندما رفضت الدخول في الحرب مع الولايات المتحدة فهذه الحرب غير شرعية.

وقد كان رئيس الوزراء الكندي على حق عندما دعا البرلمان إلى عدم تأييد هذه الحرب وعدم المشاركة فيها.

ولكن ولأدب رئيس الوزراء الكندي جون كريتن لم يذكر أن الحرب بدون موافقة مجلس الأمن تجعل الولايات المتحدة ومن معها خارج نطاق الشرعية الدولية فقد تحولوا إلى بلاد تعتدي على القانون الدولي.

لقد قال خبير القانون الدولي «تيد ماويني» إنه لا يوجد قاعدة قانونية لهذه الحرب وهذا أمر واضح منذ البداية.

وعلى الدول التي تحرص على القانون الدولي وتحاول فرضه على الآخرين أن تحرص هي نفسها على عدم خرقه والحفاظ عليه وهذا ما تفعله فرنسا بعكس أمريكا.

ولكن الآن ماذا يحدث؟ العراق الذي ظل طوال ١٢ عاماً يعتدي على القانون الدولي ويتحدى الشرعية الدولية أصبح الآن وفي نظر العالم في صورة الضحية البريئة حتى صدام حسين الديكتاتور أصبح ينظر له نظرة

تعاطف أكثر اثنين مسئولين عن هذا التحول في رأى العالم هما صدام وبوش .
استراتيجية صدام كانت في منتهى البساطة وهى الالتزام بقرارات
الأمم المتحدة وعلى النقيض كان بوش مغروراً وعنجبياً ..

كلما التزم صدام بقرارات الأمم المتحدة زاد بوش في عناده وغروره .
والنهاية أصبح العالم . حتى هؤلاء الذين لا يهتموا كثيراً بما يحدث على
النطاق العالمى . لا يستطيع أن يحدد من منهما الشرير .
وفى حقيقة الأمر فإن سلوك بوش من يصعب فهمه أو تفسيره فقد ظل
لمدة عام يبدى رغبته الشديدة في غزو العراق .

ولعل هذا التركيز الشديد على غزو العراق جعله غير قادر على دعم
دبلوماسى من حلفائه المعتادين بمجلس الأمن والذين يحتاجون إلى الدعم
المادى الأمريكى ولكن انتهى الأمر ببوش بأنه أصبح غير قادر على ضمان
دعم هؤلاء كالمكسيك .

والكلام الذى يردده بوش عن مبرراته لشن الحرب هراء ومثلما قال
ماونى فإن قرارات الأمم المتحدة وقت تطبيقها محدد وكذلك مكان تطبيقها
ولا يمكن استغلال قرارات صدرت منذ فترة لتبرير أفعال حالية فلا يوجد
دولة يمكن أن تكون في وقت واحد خصماً وحكماً وجلاداً .

فقرار الأمم المتحدة رقم ٦٧٨ صدر لإنهاء الغزو العراقى للأراضى
الكويتية أما قرار ٦٨٧ فهو متعلق بوقف إطلاق النار في نهاية حرب الخليج
الأولى ولهذا فهو لا يتضمن أى شئ متعلق بإباحة استخدام القوة .

هذه أمور كلها ذكرت في ميثاق الأمم المتحدة وهو الميثاق الذى وضعت
الولايات المتحدة وحلفاؤها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهو الميثاق الذى
ينص على أنه ليس من حق أى دولة شن الحرب على دولة أخرى إلا في حالة

الدفاع عن النفس أو بموافقة من الأمم المتحدة وأى دولة لا تلتزم بهذه الأمور تعتبر خارجة على القانون الدولى.

ولكن هذا لا يعنى أن بوش وبلير سيحاكمون حتى بعد خروجهما من الحكم ورغم أن بوش كان ذكيا عندما رفض الاعتراف بمحكمة مجرمى الحرب الدولية الجديدة والتي يتم بناؤها فى هولندا.. فإن ماوينى يقول إن بوش وبلير وحلفاءها عليه أن يبقوا بعيداً عن بلجيكا فهذه الدولة الصغيرة تعامل مجرمى الحرب بقسوة وتخضعهم لقانونها الخاص.

وبشكل نظرى فإن بوش قد يجد نفسه فى النهاية فى زنزانه يشاركه فيها مجرمو حرب آخرون مثل صدام حسين مثلاً.

توماس والكوم

حرب «الغباء المتوارث»

تبدو المسافة بين حديقة ماديسون سكوير، والعاصمة بغداد . بعيدة إلا أنها فجأة لم تعد بذلك البعد .

إن التاريخ الذى أذكره بدقة هو ٢٤ مارس ١٩٦٢ كان «راميل جريفيث» و «بيتى باريت» قد كافحاً للحصول على بطولة العالم فى الملاكمة مرتين وكان باريت لاجئاً كويياً مثقفاً لم يتفق مع جريفيث لقد كانت بينهما مباراة تاريخية كاد خلالها باريت يخرج جريفيث من المباراة منذ الجولة السادسة؛ لكن.. كانت هناك عدة ضربات قوية بعدها أضعفت باريت وأنهكته، فبدأ «ينحل» مثلما كان دونالد رامسفيلد يقول!

فى الجولة الـ ١٢ علق باريت فى حبال الحلبة؛ وقد بلغ منه الانهاك حداً منعه من الهرب.. ولم يفعل الحكم «روى جولدشتاين» شيئاً وإنما تراجع تاركاً العنف يأخذ بزمام الأمور وليكن ما يكون.

ظل جريفيث ينهال على باريت ضرباً حتى انتابت الأخير رجفة عنيفة وسقط بعدها فى غيبوبة عميقة، استمرت عشرة أيام قبل أن تفيض روحه إلى بارئها .

رياضة الموت، هى الرياضة التى يبثها التلفزيون على جمهوره.. ينقلك من مباراة قاتلة إلى أخرى، يجعلك تشاهد حالة من «انحلال» القوة والعالم يجلس متفرجاً ولذلك، وعلى مدى أربعة عقود، ظلت صورة جثة باريت

المحكمة ماثلة أمام أعيننا نراها على أنها صورة لضحية غبية نرمقها بأسف وشفقة، لكن ليس بصدمة وطلع.

هل ضرب بغداد حقاً هو بتلك الصورة الهائلة التي يفترضها دونالد رامسفيلد ورئيسه التقليدي المبتسم على الدوام؟ أم مجرد عرض مبهر للعجائب التكنولوجية والتخطيط الدقيق الذي يترك وراءه ضحايا كثر ليس المستهدفون من بينهم إلا قليلاً؟ أم مجرد استعراض للقوة الأمريكية التي تعيد إلى الأشرار صوابهم؟ ذلك هو جوهر الأمر.. الكل يأمل في حل سريع هناك، ألق بالشاب الذي تكرهه على الحبال وواصل ضربه، لكن، مثل الجولة الـ ١٢ المروعة بين جريفيث وباريت لم يكن هناك أى إبهار ولا أى هلع بل فقط شعور من خيانة وإهانة الإنسانية.

هل كان من شاهدناه منذ عامين يحاضر في هوليوود عن مساوئ العنف، هو ذات ديك تشينى الذى نراه اليوم؟ أين أسلحة الدمار الشامل المذهلة والمزعومة؟ لماذا لم تستخدم فى أشد الأوقات يأساً على القوات العراقية، أسلحة ستحمل الفضل إلى سماء الطائرات الأمريكية.

لقد أظهر الأمر مدى هشاشة التهديد المحتمل

هزم جورج بوش الأب صدام حسين وفقد منصبه، لكن جورج بوش الابن ينوى الإطاحة بصدام والاحتفاظ بمنصبه حتى عام ٢٠٠٤

لأمريكا وكيف من الممكن كذلك أن يتحول ضعف أجنحة الجيوش فى العالم الثالث إلى شراسة. وهى فى رأى صغوية بالغة تثير الفزع.

من المفترض هنا أن ندعم أبناءنا فى أوقات كهذه، ليس من المفترض أن نحتج أو أن ترتفع أصواتنا بالصراخ. هذه حرب تمتد من أيوجيما إلى الكويت لكن مثل هذه الحروب حتى تلك التى وقعت منذ ١٢ سنة خلت؛ كانت تحمل فى داخلها عنصراً إنسانياً. كان من يحاربون فيها رجالاً ونساء وليسوا أشخاصاً

آلين.. هل هذا هو الأمر اليوم بتلك الآليات التي تظهر على شاشة التلفزيون؟
ليس مطلوباً منك أن تحب صدام أو أيا من أفعاله ولو لثانية، لكن
الحرس الجمهوري، وحتى أعضاء الحرس الجمهوري الخاص هم من أبناء
الجنس البشري أيضاً، لهم آباء وزوجات وأبناء.. إنهم يحترقون وينزفون ويموتون.
ينطلق القصف على بغداد ومعه تتطلق المظاهرات والاحتجاجات في
العالم كله. في لندن ونيويورك وسان فرانسيسكو ومناطق أخرى الأمر الذي
يشير دهشة الحكومة البريطانية من المفترض أن تتحد في مواجهة وقت كهذا،
لكن يبدو من الواضح، مع تلك الأضواء البرتقالية والزرقاء التي تضيئ سماء
العراق، أن الجنرال تومي فرانكس على حق، وأن هذه حرب «كباقي الحروب
في التاريخ» فقط يتم تحريك هذه الحرب بأجهزة التحكم عن بعد وأبناؤنا
ليسوا سوى مجرد علب مياه غازية، في ماكينة تدار ببلايين البلايين من الدولارات.
هنا المفارقة.. إن حرب الخليج الأولى لم تساعد جورج بوش الأب،
وإنما دمر ذلك الفبي الاقتصاد وكذلك اليوم على العكس مما ترغب فيه
الإدارة الأمريكية بدأت متاعب الاقتصاد تخنق جورج بوش الابن، ويظهر ثاني
أكبر استطلاع للرأي على أنه بعيد كل البعد عن الديمقراطية.. لقد هزم
جورج بوش الأب صدام حسين وفقد منصبه، لكن جورج بوش الابن ينتوى
الإطاحة بصدام والاحتفاظ بمنصبه حتى عام ٢٠٠٤.

«حرب ليست كباقي الحروب»؟ فكر فقط كيف تلعب هذه الحرب دوراً
عن بعد في المنازل والقلوب.. هل نشعر بالفخر لذلك.. أم أن ما لدينا هو
فقط شعور مزعج بأن تلك ليست حرباً حقيقية ذات الشعور الذي انتابنا
عندما ضُرب «باريت» ليشعرنا بأن تلك ليست رياضة بحق؟!

بيتر برستون

«الجاردیان» البريطانية

بوش.. تلميذ هتلر النجيب!

فى هذه اللحظات القاسية، يستحيل علينا القيام بأى شىء أملا فى إيقاف هذا الغزو الكاسح، وهذا لا يعنى انتهاء مهمة من يهتمون بالعدالة والحرية وحقوق الإنسان، بل على العكس تماما ستزداد واجباتهم إلحاحا مهما كانت نتيجة الحرب والتي لا يعرف أحد نتيجتها لا البنتاجون ولا المخابرات المركزية الأمريكية ولا أى شخص آخر وإن كانت كل الاحتمالات مطروحة فى مثل هذه الكوارث الإنسانية المروعة والتي حذرت منها وكالات الإعانة والإغاثة فى العراق.

لن يقلل شىء من جرم الأمريكان الذين جعلوا شعبا عاجزا يعانى من مخاطر رهيبة لا لشيء سوى تحقيق أهداف سياسية مخجلة ولن يقلل شىء من جرم الأمريكان حتى وإن لم تمس شعرة من رأس مظلوق.

سيمر وقت طويل قبل أن يصبح من الممكن بناء حكم أولى ومن المهم فى نفس الوقت أن نهتم قدر المستطاع بالمواقف المحتملة وهذا يعنى بالضرورة الاهتمام أولا بما يحتاجه الشعوب فى ظل العقوبات الاقتصادية التى تفرضها الولايات المتحدة على العراق منذ عشر سنوات بشكل دمر المجتمع المدنى وزاد من قوة الطغاة الحاكمين مما جعل الشعوب تعتمد عليهم رغبة فى مواصلة الحياة.

ما فعلته أمريكا قتل من احتمالية أن يلقي صدام حسين نفس مصير الطفلة السابقين له والذين لا يفلون عنفا عنه وربما يتداعى إلى الذهن فى هذه الحالة أولئك المجرمون الذين دعمهم رؤساء الحكم فى واشنطن حتى أيامهم الأخيرة مثل «سيسكو».

ربما يكون من اللائق أن تقوم أمريكا مبدئيا بتقديم تعويضات هائلة للعراق بشكل متدفق ربما يساعد العراقيين على إعادة بناء ما تم تدميره بالشكل لا الشكل يروونه صحيحا وليس وفقا لأهواء سادة واشنطن وكروفورد الذين يؤمنون بأن «القوة منبعها براميل البارود»!

ولو تطرقتنا إلى القضايا الحيوية لوجدناها أكثر تشعبا وأطول أمدا، إن الاعتراض على غزو العراق هو أمر لم يحدث تاريخيا من قبل ولذلك كان من الضروري على بوش أن يلتقى ذات مرة باثنين من معاونيه فى قاعدة عسكرية على جزيرة بعيدة عن الناس. وربما كان الاعتراض الاساسى يدور حول غزو العراق إلا أن أبعاده تمتد لتشمل أكثر من ذلك.

أمريكا قوة يتزايد الخوف منها نظرا لأنها تعد التهديد الأكبر للسلام فى معظم أنحاء العالم، يضاف إليها تكنولوجيا الدمار التى تمتلكها والتى تتزايد فى كل يوم فتكا وضراوة عن اليوم الذى سبقه، لهجد العالم نفسه فى مواجهة تهديد للسلام يمكن أن يهدد البقاء الإنسانى بالكامل.

إن المشكلة ليست فقط فى اجتياح الحكومة الأمريكية للعراق وإنما فى الخلفيات والتبجمات المثارة حول هذا الموضوع: أمريكا تصر على أن تحكم العالم بالقوة، وربما لمزيد من التأكيد على تفوقها وسيطرتها، فسيتم اللجوء إلى الحروب التى تستبق الأحداث. لا التى تسعى للوقاية منها فقط.

هذه الحرب التى سبقت الأحداث لا تحمل سوى هم واحد: وهو إزاحة أى تهديد يفترض وجوده بواسطة القوة العسكرية: والهدف المعلن هو منع أى

تحد لسلطة وتميز وموقع الولايات المتحدة.. إن ذلك التحدى إن ظهرت مجرد إشارة لوقوعه الآن أو لاحقا فستقابلة الولايات المتحدة وحكامها بشراسة دولة هي أقوى من العالم كله إذا ما تعلق بالأمر بالعنف.

ذلك العنف يدلف الآن من مسالك أخرى مثل تطوير التسليح الفضائي الخطر دون أن يلقى بالا للأعتراض العالمى غير المحدود على ذلك.

الجدير بالذكر أن العبارات السابقة ليست عبارات مقتبسة من ديم تشينى أو دونالد رامسفيلد ولا من أى متطرف يمينى آخر فى السلطة لكنها كلمات مقتبسة من أحد قدامى رجال الدولة المحترمين هو «دان اسستون» قالها من حوالى ٤٠ سنة عندما كان يحاول تبرير تحركات أمريكا ضد كويا وقت أن كان مستشارا لإدارة كينيدي.. كان اسستون يدرك أن الحملة الإرهابية الدولية التى تستهدف تغيير النظام كاد أن يشعل فى العالم حريا نووية شاملة ورغم ذلك كله تمسك المجتمع الأمريكى بالقانون الدولى.

إن طموح التوسع الاستعمارى للمتحكمين فى السلطة الأمريكية اليوم أثار حالة من الذعر العالمى، هناك ضحايا تقليديون يعرفون التاريخ أكثر من سواهم، لا تريحهم الخطابات الكثيفة التى سمعوا منها الكثير قديما عندما كانوا يتعرضون للضرب على يد أعضاء نادى «المتحضرين».

لقد وصف رئيس دول حركة عدم الانحياز التى تضم معظم حكومات العالم إدارة بوش بأنها إدارة أكثر عدوانية من هتلر والمثير للدهشة أنه واحد من مؤيدى الولايات المتحدة وأحد المنتفعين من مشروعاتها الاقتصادية الدولية.. إن هذا الرجل عندما يتحدث فإنه يتحدث باسم الضحايا والجلادين التقليديين فى نفس الوقت المهم أن نفكر فى ذلك كله بنزاهة دون تعصب.

كان خبراء العلاقات الدولية، قبل تصعيد إدارة بوش من حدة هذه

المخاوف في الأشهر الأخيرة يحاولون القول بأن سياسات واشنطن قد تؤدي إلى تزايد الارهاب وتكاثر اسلحة الدمار الشامل بهدف الانتقام والردع وأن سبيل واشنطن للتخفيف من حدة أفعالها ومزاعمها لن يخرج عن أمرين الأول أن تخفف من حدة تهديداتها مع ملاحظة الاستياء العالمي الناتج عنها مع احترام النظام والمؤسسات الدولية والحرص على أن تبدو عضوا متحضرا فيه والأمر الثاني على العكس أن تزيد من بناء محركات الدمار والسيطرة الشاملة التي تمكنها من سحق أي تحدٍ مهما بدا بعيدا، الأمر الذي سيثير تحديات أقسى وأصعب وتلك الطريقة تهدد أمريكا والعالم بمخاطر عنيفة قد لا يكون انقراض الاجناس أبعدا عن الحدوث.

لقد تم تفادي الحرب النووية الشاملة في الماضي بما يشبه المعجزة وكان ذلك قبل أشهر قليلة مما قاله دان اشيسون واليوم تتزايد التهديدات وتتكاثر بشكل بالغ الخطورة والعنف: إن العالم عندما يرهب ما يحدث في واشنطن بخوف فله الحق في ذلك لكن مواطني أمريكا أنفسهم هم من يستطيعون إزالة هذه المخاوف من النفوس واثاحة الطريق لمستقبل أكثر أملا وإشراقا.

الاحداث تمضي بسرعة لا يمكن التنبؤ بها، وأعظم قوة في التاريخ الإنساني تتطلق نحو عدو عاجز لا يملك الدفاع عن نفسه، بسبب إدارته السياسية التي امتلكت سجلا مرعبا من البربرية والتدمير منذ توليها مقاليد الحكم منذ عشرين سنة.

نموم تشومسكى

أصبحنا أمة جاهلة.. تخون أصدقاءها!

لقد أمنت بذلك البلد الجميل.. وأعجبت بذكاء مؤسسية.. وتفهمت الأجيال الأمريكية المتتالية مبادئ جمهوريتنا السامية.. وكانت تضحيات هذه الأجيال مصدر إلهامى دائما.. لكننى اليوم أبكى على بلادى.. لم تعد صورة أمريكا هى صورتها.. وصار أصدقاؤنا لا يثقون فىنا.. صارت كلمتنا محل شك.. ونوايانا موضع سؤال؟!

لقد حاولنا فرض الطاعة على من يختلف معنا.. بدلا من التفاهم معه.. اخترنا عزل أنفسنا عن العالم بدلا من عزل صدام حسين.. إننا نقول: «الولايات المتحدة لها الحق فى صب نيرانها على الارهاب.. دون أن يؤيدنا أحد».. لقد غرقتا قوتنا الزائدة على الحد وملأتنا بغطرسة جعلتنا نعامل مجلس الأمن وكأنه ناكز للجميل يهين كرامتنا لأنه رفض ما نريد.. وفقدنا كثيرين من حلفائنا.. عندما تنتهى الحرب.. سيكون على أمريكا بناء ما هو أكثر من العراق.. سيكون علينا أن نعيد بناء صورتنا التى تهشمت فى نظر العالم.. نحن لا نستطيع إقناع العالم بضرورة هذه الحرب لسبب بسيط وهى أنها «حرب اختيارات».. لا توجد معلومة واحدة يمكن تصديقها.. حول أن صدام حسين له دخل بانفجارات ١١ سبتمبر.. لقد انهار برجا التجارة بسبب جماعة إرهابية خلاياها تنتشر فى ٦٠ دولة هى «القاعدة» وبسبب مواردنا

عندما تحولت طائراتنا إلى صواريخ.. إن ما حدث هو تعبير يائس لأولئك المتطرفين لايقاف اعتدائنا اليومي على ثقافتهم!! وهو ما يجب أن نحاربه.

الإدارة الأمريكية صبت جام غضبها وخوفها، وفجيعتها التي ولدت من رماد برجى التجارة العالمى نحو «شهير» ملموس يمكننا رؤيته وكراهيته ومهاجمته هو شرير بحق، لكنه الشرير الخطأ فى هذه الحالة، وهذه الحرب أيضا خطأ، لو هاجمنا صدام حسين فريما تنجح فى ابعاده عن السلطة، لكن لحظتها قد نجد أن حلفاءنا الذين يفترض منهم تأييدنا فى الحرب ضد العراق قد انفرط عقدهم.

إن الغموض وعدم الارتياح الذى يحيط بهذه الحرب ليس مجرد «ضوء أحمر» يندرنا وإنما هناك مساحة بين العجلة والتسرع، والمخاطرة بشن هذه الحرب التى تحفها أسئلة كثيرة بلا جواب: كم من الوقت ستظل الولايات المتحدة فى العراق؟ وما مقابل ذلك؟ ما هى المهمة المحددة هناك؟ وكم يبلغ مدى الخطر الذى يهدد أمريكا؟

ما الذى يحدث فى هذا البلد؟ متى أصبحنا أمة جاهلة تخون أصدقاءها؟ متى قررنا المجازفة بتمويض النظام العالمى بتبنى مدخل نظرى متطرف لاستخدام قدراتنا العسكرية المربعة.

كيف أمكننا أن نهجر الجهود الدبلوماسية فى الوقت الذى يصرخ فيه العالم طلبا لها؟

لماذا يبدو هذا الرئيس وكأنه لا يرى أن قوة أمريكا الحقيقية تكمن فى قدرتها على الإلهام وليس فى قدرتها على التدخل؟

إن الحرب تبدو وكأنه من غير الممكن تفاديها لكننى مازلت آمل فى أن تمر الغيمة.. ربما سيضع صدام حسين ذيله بين أسنانه ويهرب، ربما ظل هناك شيء من المنطق فى ذلك كله، إننى أشارك ملايين الأمريكيين الدعاء

من أجل سلامة قواتنا، من أجل المدنيين في العراق، ومن أجل أمان وطننا
ولندع الله أن يستمر بمباركة الولايات المتحدة في تلك الأيام العصيبة علنا
ننجز يوما في فهم الرؤية التي عجزنا عن ادراكها اليوم.

سيناتور: روبرت بيرد

تقرير تاجوبا
تقرير الجيش الأمريكي
عن فضيحة سجن أبو غريب

كان العنوان الرئيسى لصحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية واسعة الانتشار والنفوذ، يقول «بوش يعتذر عن الإساءة للسجناء» وكان تحت عنوان آخر ببنت أصفر يقول «الانتقادات ضد رامسفيلد تتزايد، لكن الرئيس يقول إنه (أى رامسفيلد) باق فى عمله. ولم يكن مهماً أن يعتذر بوش أو لا يعتذر، كما أنه استخدم مصطلح «الإساءة» وبذلك يكون قد اعتذر عن «الإساءة» وليس عن «التعذيب» وهناك فرق كبير. بالطبع. بين الإثنين، يشبه الفرق الكبير بين «التحرير» الذى يعنى به بوش إحتلال العراق. ربما كان على بوش أن يستخدم لفظاً خفيفاً فاستخدمه معذور، فانتخابات نوفمبر اقترت. وكما يتساقط الرمل من الساعة الرملية، تتخفف شعبية بوش فى استطلاعات الرأى الأمريكية فيما تتعاضد شعبية منافسه «كبرى»، ليس لأن كبرى هو الأفضل، ولكن لأن بوش هو الأسوء. بلا منازع، وربما ترى أن استخدام لفظ بدلاً من آخر أمر غير مهم، لكن الحقيقة أنه أمر شديد الأهمية، فالعنوان التالى فى عدد اليوم نفسه من «الواشنطن بوست» كان يقول: «رامسفيلد تحت الهجوم». ألم تقرأ هذا العنوان من قبل؟ نعم قرأته، ولكن منذ حوالى ثلاث سنوات، ولم يتغير فيه سوى كلمة واحدة، فقد كان «أمريكا تحت الهجوم». وكان ذلك عنوان الـ «C.N.N» لأحداث ١١ سبتمبر، فلماذا تعيد «الواشنطن بوست» التى تميل عادة إلى تأييد سياسة اليمين الأمريكى المتطرف، إلى استخدامه؟ ألا يوحى ذلك بأن الانتقادات التى يواجهها رامسفيلد - فى رأى الجريدة - توازى أو تساوى فى خطورتها هجمات ١١ سبتمبر؟ أليس غريباً أن يتساوى شخص واحد - هو رامسفيلد - مع أمة كاملة هى أمريكا فى درجة الأهمية؟ لماذا تحاول «واشنطن بوست» أن تبرز أهمية رامسفيلد فى هذا الوقت؟ لماذا تحاول تبرئه من مسئوليته المباشرة عن عمليات التعذيب الوحشية التى ارتكبها جنوده فى العراق؟ ولماذا لم يرد ذكر جورج تينيت مدير المخابرات المركزية؟ برغم التأكد من أن عمليات التعذيب تمت تحت إشراف المسئولين فى وكالته؟ إن تينيت ليس شخصاً مهماً، فقد تحول إلى رجل على رأسه بطحة، لا يهش ولا ينش، منذ إتهامه بالتقصير فى التحذير من هجمات

١١ سبتمبر، ثم إتهام وكالته بزيغ، معلوماتها عن أسلحة الدمار الشامل العراقية. إنه المدير المناسب للمخابرات الأمريكية في الوقت المناسب للمخابرات الأمريكية في الوقت المناسب الذي يريده المحافظون الجدد ليسيطروا على كل شيء في البلاد، وهذا هو ما حدث بالفعل، فرامسفيلد هو الذي يسيطر على كل شيء الآن، ولذلك فإن رامسفيلد هو كل شيء الآن، وليس بوش. ومن هنا يأتي حرص «واشنطن بوست» عليه. فهو صوت ويد وقدم اليمين المتطرف في الإدارة الأمريكية، وهو فنان العرائس الذي يحرك بأصابعه الدمية الأكبر في العالم الآن التي تحمل اسم «جورج بوش» إن سقوط رامسفيلد يعني - بإختصار - سقوط بوش، وسقوط بوش يعني إنهاء الفاترينة التي يعرض فيها اليمين الأمريكي المتطرف سياساته قبل بيعها بالضوء للعالم، وسقوط هذه الفاترينة يعني أن مشروع اليمين المتطرف لن يكتمل، مشروع السيطرة على العالم، وتحرير البلاد بإحتلالها، لن يكتمل. لذلك فإن كل شيء يتضاءل أمام قيام الإمبراطورية وتوسمها، حتى لو كان هذا الشيء ضد أهم المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الأمة الأمريكية، وهي عدم إنتهاك حقوق الإنسان.

ما الذي تعنيه فضيحة سجن أبو غريب. إذن؟ لا شيء، إذا ما قورنت بمصالح الإمبراطورية.

لكن الفضيحة - مع ذلك - تعني كل شيء. إن التفاصيل مفزعة، وشهادات الجنود والضحايا مُروعة، وما كتبتة صحف العالم عنها هو قليل مما تضمنه التقرير الذي يتكون من (٥٣ صفحة) وأعدّه الجنرال أنتونيو تاجوبا بتكليف من ريكارو سانشيز قائد القوات الأمريكية في العراق. ويصلح ما تضمنه التقرير لائحة إتهام لمحاكمة بوش ورامسفيلد وتينيت كمجرمي حرب عن عمليات التعذيب التي كشف التقرير أنها لم تحدث في سجن أبو غريب وحده وهو مركز الاعتقال المركزي في بغداد. بل كانت هناك ممارسات مماثلة في سجون أخرى تقع في معسكر بوكا، ومعسكر إشراف، ومعسكر

كروبار، لكن سجن أبو غريب وحده هو الذى نال كل الأضواء.

إن سجن أبو غريب يقع على مسافة ٢٠ ميلاً غرب بغداد، وهو لم يكن فى حاجة إلى المزيد من سوء السمعة، لأنه السجن نفسه الذى كان يتعامل معه الأمريكيون بوصفه رمزاً للطفيان «طفيان صدام حسين»، ومبرراً كافياً لفزو العراق وتحرير المراقين من الإذلال الذى يتعرضون له فى ظل نظام صدام، تمهيداً لتحويل إلى جنة للديمقراطية فى المنطقة. فى عهد صدام، لم يكن أسبوع يمر دون أن يشهد سجن أبو غريب تنفيذ أحكام بالإعدام ضد معارضين عراقيين. وكان عدد نزلاء السجن وقتها حوالى ٥٠ ألفاً بين رجل وامرأة، يعيشون محشورين فى زنازين لا تتجاوز مساحتها ١٢ متراً مربعاً. تستوعبهم واقفين بالكاد. وبعد إنهيار النظام العراقى فى ٩ أبريل ٢٠٠٣، لم يسلم سجن أبو غريب من عمليات النهب التى اجتاحت العاصمة العراقية، فقد تركه الناهبون عارياً من كل شيء يمكن تمريره: الأبواب والنوافذ والبلاط، قبل أن تعيد سلطات الاحتلال ترميمه وتطهير زنازينه وإصلاح مراحيضه، وتلحق به مركزاً طبياً. لتحوّله إلى سجن عسكرى أمريكى. وليس هناك تقدير معن لعدد سجناء «أبو غريب» فى ثوبه الأمريكى، لكن سيمور هيرش كاتب التحقيقات الأمريكى الشهير فى صحيفة «نيويورك» يقدر عددهم «بالآلاف» بما فى ذلك النساء والمراهقون من المدنيين..

ويقول أن «عدداً كبيراً منهم تم القبض عليه أثناء عمليات مسح عسكرية عشوائية وفى نقاط تفتيش على الطرق السريعة، وينقسمون إلى ثلاثة أقسام مختلفة. مجرمون عاديون، ومحتجزون للشك فى ارتكابهم جرائم (١) ضد قوات التحالف وعدد قليل من المشتبه فى كونهم زعماء التمرد (المقاومة) ضد قوات التحالف فهل تغير شيء فى سجن أبو غريب فى عهد صدام إلى عهد بوش؟ ليس هناك من يجيب عن هذا السؤال أفضل من «ضياء الشويرى» إن ضياء هو أحد السجناء الذين أدلوا بشهادتهم فى تقرير تاجوبا عن التعذيب فى سجن أبو غريب. ولكن شهادة ضياء تكتسب أهمية

خاصة، لأنه دخل السجن نفسه مرتين في عهد صدام حسين قضى خلالهما فترات اعتقال طويلة، ووفقاً لنص تقرير تاجوبا يقول ضياء في شهادته. «الآن أشعر بأننى أفضل تعذيب صدام حسين على الإهانة التى لقيتها من الأمريكيين الذين جردونى من ملابسى. فى عهد صدام تعرضت للصفع بالكهرباء. لكن هذا أرحم من إمتهان آدميتى ويقائى عارياً أمام الحارسات الأمريكيات للإستهزاء برجولتى. كنت أقول لهم: «إقتلونا ولكن لا تفعلوا هذا بنا».

ولكن لم يكن هناك من يسمع. ولذلك فإن ضياء الشويرى إلتهق الآن - بعد خروجه من السجن - بجيش المهدي التابع لمقتدى الصدر. لتحقيق هدف واحد هو الإنتقام من الأمريكيين، ولم يكن جنود بوش فى سجن أبو غريب يفرقون بين المجرمين الجنائيين والسجناء السياسيين، ولم يكن هناك فرق لديهم بين الذين كانوا يعارضون صدام حسين ورحبوا بهم، ومن يسميهم الأمريكان بقايا النظام البائد، فى إشارة إلى المقاومين، وتقرير تاجوبا يثبت ذلك، فهو يتضمن شهادة لمحام عراقي اسمه (موفق سامى عباس) وموفق هو ابن لواء عراقي سابق ساعد الأمريكيين ضد نظام صدام حسين. لقد أعتقل موفق مع إخوته فى مارس ٢٠٠٢ وهو يقول - فى تقرير تاجوبا - إنه لم ير النور لعدة أيام «فقد غطوا رأسى بكيس إسود، لم ينزعوه إلا عند إستجوابى، ويضيف «أجبرونى على الركوع والإنحناء حتى انهزت. كانت الراحة مستحيلة طوال اليوم. كانوا يديرون موسيقى صاخبة فى مكبرات صوت كنوع من الضغط النفسى. عادة ما كانت الأغنيات التى يديرونها بصوت صاخب من نوع «الأولاد المتوحشون» و«لا نوم حتى الوصول إلى بروكلين»، ولم أكن قادراً على النوم ولم يصدق موفق عباس ما سمعه عن وحشية الجنود الأمريكيين حتى ذاقها بنفسه. لقد حصل والده على شهادة من القوات الأمريكية تشير بتعاونه ومساعدته لها، لكن هذا لم يشفع له، ولم يجعله ينجو من هذه الوحشية يقول موفق: «هذه الوحشية هى السبب فى تزايد أعداء قوات التحالف، وهى السبب فى ظهور المقاومة، وليس صحيحاً - بالطبع - ما تحاول وسائل الإعلام الأمريكية أن توحى به، وهو أن عمليات التعذيب فى

سجن أبو غريب ليست سوى سلوكيات فردية. إن الجنرال مارك كيميث قال إن حالات التعذيب لم يشارك فيها سوى ٢٠ جندياً. ولكن أبو سالم - السجين الذي سجل شهادته في التقرير يقول «إن كلام كيميث هو ادعاء كاذب». وأُعتقل أبو سالم في يناير الماضي قبل زيارة الصليب الأحمر للسجن، وعندما دخله أصيب بصدمة كبيرة بعد أن رأى المعتقلين عرايا طوال الوقت. يقول أبو سالم: «كل الجنود - بلا إستثناء - كانوا يمارسون كل أنواع التعذيب في حقنا» ولكن في الليلة التي سبقت زيارة الصليب الأحمر للسجن، قدم لهم الأمريكيون ملابس جديدة مع تحذير من الشكوى للصليب الأحمر. لأن هذا سيكون معناه السجن الأبدى للشاكي.

في ١٩ يناير ٢٠٠٤ - حسب ما ورد في مقدمة تقرير تاجوبا - طلب الجنرال سانشيز قائد القوات الأمريكية في العراق من قائد القيادة الوسطى «التي تشمل الشرق الأوسط الكبير من أفغانستان إلى المغرب» تعيين ضابط تحقيقات برتبة جنرال للتحقيق في مسار العمليات داخل اللواء ٨٠٠ شرطة عسكرية. وطلب سانشيز التحقيق في عمليات الإعتقال والإحتجاز التي يقوم بها اللواء ٨٠٠ إعتباراً من أول نوفمبر ٢٠٠٣ وأشار سانشيز في طلبه إلى تقارير عن إنتهاكات ضد المحتجزين. وهروب بعض السجناء، وإلى مشكلات منهجية داخل هذا اللواء تثبت عدم وجود معايير واضحة، ونقصاً في المهارة وخلاً في القيادة، وطلب إجراء إستجواب شامل للتوصل إلى نتائج وتوصيات عن سلامة أداء اللواء ٨٠٠ شرطة عسكرية وفي ٢٤ يناير طلب الجنرال «ديفيد چاكيزان» من قائد القوات البرية إجراء تحقيق حول عمليات الإحتجاز التي يقوم بها اللواء ٨٠٠ إعتباراً من نوفمبر ٢٠٠٣ وأصدرت القيادة توجيهات بأن يناقش التحقيق كافة الوقائع والملابس المتعلقة بالتقارير الأخيرة عن إنتهاكات مورست ضد السجناء العراقيين وفي ٢١ يناير أصدر قائد القوات البرية قرار تكليف الجنرال «أنتونيو تاجوبا» نائب قائد الدعم العام بإجراء هذا التحقيق. وكانت مهمة تاجوبا محددة في ثلاث نقاط.

(١) البحث في إدعاءات سوء المعاملة في سجن أبو غريب.

(٢) البحث في عمليات هروب المحتجزين والتراخي في المسؤولية في اللواء ٨٠٠ شرطة عسكرية.

(٣) وضع أى توصيات من شأنها تصحيح الأوضاع.

ولكن ما بدأ برغبة في تصحيح الأوضاع تحول إلى فضيحة نهى المستقبل السياسى للرئيس الأمريكى نفسه ومن يقفون خلفه من صقور اليمين المتطرف موسى لإسرائيل. وكانت تفاصيل التقرير «مفزعة» حتى لتاجوبا نفسه. وقد بدأ تاجوبا تقريره بتعقيب موجز على تقريرين سابقين أعد أولهما الجنرال «جيفرى ميللر» عن عمليات الإعتقال ومكافحة الإرهاب فى العراق، وأعد الثانى الجنرال رايدر عن عمليات الإعتقال والإستجواب فى العراق. وفى تعليقه على التقريرين أشار تاجوبا إلى عدم وجود معيار موحد للتعامل مع السجناء فى العراق كما أشار إلى عدم التمييز بين السجناء السياسيين والمجرمين. ولاحظ أن تقرير ميللر يشجع على مشاركة الجنود بصورة إيجابية فى عمليات التحقيق مع المعتقلين، وهو أمر يعتبره تاجوبا متعارضاً مع الدور المنوط بهم تنفيذه. وضم تقرير تاجوبا عشرات الشهادات من الجنود والسجناء فى عدة معسكرات أمريكية فى العراق والكويت جمعها فى زيارات مع فريق التحقيق - لعدة مراكز اعتقال أهمها سجن أبو غريب.

وجمع تاجوبا العديد من الأدلة على وقوع انتهاكات لحقوق الإنسان فى السجن كانت عبارة عن صور فوتوغرافية وأفلام فيديو تصور بالتفصيل انتهاكات ضد السجناء فى الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر الماضيين. وفى أوائل فبراير أجرى فريق تاجوبا مقابلات مع الجنود المتهمين. وحصل منهم على اعترافات بما ارتكبوه. كما قابل عشرات الضباط والجنود العاملين فى اللواء ٨٠٠ شرطة عسكرية، واستعان الفريق أيضاً بشهادات ضباط وجنود آخرين فى تحقيقات تتعلق بانتهاكات سابقة بين أكتوبر وديسمبر الماضيين، وقع العديد من الانتهاكات التى يصفها تاجوبا بالنص فى تقريره بأنها «مادية ووقحة وصارخة ضد الكثير من المحتجزين» ويقول تاجوبا: إن «هذه الإنهاكات

الإجرامية مارسها بصورة منظمة ومتعمدة العديد من جنود الشرطة العسكرية التابعين للفصيلة ٣٧٢ شرطة عسكرية داخل أحد أقسام سجن أبو غريب. ودعم أقواله بالتأكيد على وجود صور فوتوغرافية، لكنه لم يضم هذه الصور إلى التقرير «نظراً لطبيعتها الحساسة» حسب تبريره، ويضيف تقرير تاجوبا إن «وحدات أخرى داخل السجن نفسه مارست انتهاكات ضد السجناء، ومنها مركز الاستجواب المشترك والكتيبة ٢٢٥ شرطة عسكرية التابعة للواء ٢٠٥، إن نظرة سريعة على النقاط التي أوردها تاجوبا في تقريره تكشف حجم الجريمة التي كان يصعب كشفها لولا حلقة في برنامج «٦٠ دقيقة» فتقرير تاجوبا هو تقرير عسكري سرّي يخص الجيش الأمريكي، ولو لم تبث شبكة سي. بي. إس التلفزيونية الأمريكية هذه الحلقة من «٦٠ دقيقة» التي عرضت صور التعذيب، فربما كان بإمكان الإدارة الأمريكية أن تدفن تقرير تاجوبا. إلى ما بعد نهاية الانتخابات على الأقل.

هذه نقاط مفزعة يعرض فيها تاجوبا أمثلة على الجرائم التي تعرض لها المراقبون في سجن أبي غريب ومنها:

- توجيه الركلات واللكمات للمساجين وقفز الجنود بأحذيتهم العسكرية على أقدام السجناء المرأة.
- إجبار مجموعات من السجناء على الإشتراك في أوضاع جنسية فاضحة لتصويرهم.
- تصوير السجناء والسجينات فوتوغرافيا وبكاميرات الفيديو. وهم عراة تماماً.
- إجبار محتجزين على الاستمناة وتصويرهم أثناء القيام بذلك.
- الإصرار على أن يرتدى السجناء الذكور ملابس داخلية نسائية.
- تكويم الأجساد العارية فوق بعضها البعض وقفز الجنود عليها. فيما يشبه الأكروبات.

- كتابة جملة «أنا مفتصب» على قدم سجين بعد إتهامه باغتصاب سجين آخر.

- توصيل الكهرباء بأطراف السجناء وأعضائهم التناسلية للإستمتاع بمنظرهم وهم يرتعشون وينتفضون.

- وضع أطواق الكلاب حول رقاب السجناء ثم جرهم بالسلاسل على الأرض.

- الإعتداء جنسياً على سجينة عراقية.

- استخدام الكلاب العسكرية المدربة لتخويف السجناء، والسماح لهم بنهش لحمهم واحداث إصابات بالغة بهم.

- إلتقاط الجنود صور تذكارية بجوار جثث ضحاياهم من السجناء العراقيين الذين ماتوا تحت التعذيب.

ويقول الجنرال تاجويا إن هذه الوقائع أكدها عدد من الجنود المتهمين الذين يعملون داخل الوحدة المكلفة بحراسة السجن كما أكدها عدد من الأطباء العسكريين وقادة الفصائل التابعة للوحدات، وقد اعتمد تقرير تاجويا أيضاً على شهادات عشرات من السجناء العراقيين الذين ألقوا الضوء على طرق أخرى في التعذيب يلخصها التقرير في النقاط التالية.

- تهديد السجناء بإطلاق الرصاص على رؤوسهم. وإطلاق أعيرة بالفضل فوق رؤوس البعض.

- التهديد بإغتصاب الرجال.

- إغتصاب عدد من السجناء الذكور بالفعل.

- تعذيب السجناء بالضغط على أماكن إصاباتهم التي أصيبوا بها أثناء عمليات التعذيب.

- سكب الماء المثلج على أجساد السجناء العارية، ولفهم بأكياس الثلج.

- سكب سوائل فوسفورية على المساجين وتعريضهم لأضواء كيماوية.

- ضرب الرجال بمؤخرات البنادق في مناطق حساسة بهدف إخصائهم.
- وضع «عصيتان المكناس في المؤخرات بعد غمسها في مواد حارقة.
- إجبار الرجال على ممارسة الجنس مع بعضهم البعض من خلال الفم.

وقد تأكد الجنرال تاجويا من صحة حدوث هذه الانتهاكات عندما استعان بشهادات محتجزين آخرين. أفادوا بحدوث انتهاكات مماثلة. ويقول أنه وجد أدلة على مشاركة الحراس في التعذيب البدني بهدف تهيئة الظروف للمحققين للحصول على اعترافات وأثبت تاجويا شهادات عدد من المتهمين، ومنهم العريف سابرينا في إقراراتها.

«كانت مهمتي حرمان السجناء من النوم. لقد أخبرني مسئولو المخابرات العسكرية بأنهم يريدون من زملائي مساعدة المخابرات العسكرية على إجبار المعتقلين على الاعتراف، ويؤكد جافال دافيز وهو أحد جنود الفصيلة نفسها في شهادته.

«شاهدت المساجين في القسم التابع للمخابرات العسكرية، وتحديدًا في الجناح A1، مجبرين على القيام بأعمال كنت أتشكك في صحتها أخلاقياً. مسئولو المخابرات العسكرية أخبروني - أنا وزملائي - بأن هذا القسم يتبع قواعد مختلفة في التعامل مع السجناء، المسئول عن هذا الجزء من السجن هو عريف يُدعى جرانبيير وقد أخبرني بأن رجال المخابرات العسكرية ووكالات أخرى (يقصد - على الأرجح - وكالة المخابرات المركزية) طلبوا منه القيام بتلك الانتهاكات ضد السجناء. وقال له إن الأوامر تصدر شفاهة، وعندما سأل جرانبيير عن سبب عدم إخطاره قيادته بما يحدث، أجاب «لقد افترضت أنهم لا يتصرفون من تلقاء أنفسهم، كما أن هذا القسم من السجن كان تابعاً للمخابرات العسكرية، وكان من الواضح أنهم موافقون على ذلك»، ويقول جافال دافيز أيضاً لمحقق فريق تاجويا أنه سمع أحد أفراد المخابرات العسكرية يطلب من زملائه تعذيب معتقل عراقي قائلاً له بالحرف «مهمتك

تليين عزمته من أجلنا . عليك أن تتأكد من أنه عومل أسوأ معاملة». كما سمع دافيز رجال المخابرات العسكرية يكيلون المديح لزميله جرانبير على ما قام به قائلين «عمل رائع، هؤلاء السجناء ينهارون بسرعة هائلة، ويجيبون على كل الأسئلة ونحن نحصل منهم على معلومات جيدة. لذلك عليك الإستمرار فى أداء هذا العمل الرائع».

ويقول مجند يدعى جيسون كينل من الفصيلة ٣٧٢ شرطة عسكرية للجنة تاجويا: «شاهدت المحتجزين العراقيين عراة، وكان ذلك بناء على تعليمات من المخابرات العسكرية». وهناك شهادة أخرى لأحد أفراد كتيبة الدعم الطبى. وهو «نيل والينى» الذى يقول: «كانت الزنزانة A1 مخصصة للمحتجزين ذوى الأهمية المعلوماتية. وعند زيارتى للسجن وجدت الجنود يجبرون بعض السجناء على إرتداء ملابس داخلية نسائية لدفعهم إلى الإنهيار والإعتراف».

ولكن المفاجأة فى شهادات المتهمين التى أوردها تقرير تاجويا. هى شهادة «عادل نخلة»، إن عادل نخلة هو مترجم أمريكى من أصل مصرى، واجه اتهاماً بالاعتداء الجنسى على عدة سجناء عراقيين. وقال فى شهادته أنه شاهد السجناء عراة وأن العريف جرانبير وعدداً من رجال المخابرات العسكرية أمروا السجناء بالقيام بأفعال غريبة منها القفز إلى أعلى. مع إلقاء الماء البارد على أجسادهم العارية، وتوجيه السباب إليهم أثناء إستجوابهم للحصول على إقرافات منهم ويقول «لقد شاهدت سجناء مقيدى الأيدى والأرجل، مكومين عراة فوق بعضهم البعض».

كانت الإقرافات التى أوردها تقرير تاجويا صادمة بشكل مروع للأمريكيين والبريطانيين والأوروبيين. والكثير من العرب لكن الصدمة كانت أكبر على العراقيين الذين كانوا يأملون فى الخلاص من عذاب نظام صدام حسين فوجدوا أنفسهم يذوقون عذاباً أشد، وغير متوقع من الأمريكيين الذين جاءوهم رافعين رايات الديمقراطية وحقوق الإنسان. وكان حيدر صابر

أحد هؤلاء المصدومين بما حدث. وربما لو لم يتعرض لهذا التعذيب لما كان بإمكانه أن يصدق الحكايات التي تتردد عنه. إن حيدر صابر هو صاحب الصور التي نشرت وكان عارياً ومعلقاً. وقد روى قصته لأكثر من جريدة أمريكية منها نيويورك تايمز ولوس انجلوس تايمز وبات رمزاً لفضيحة سجن أبو غريب. يقول حيدر: «لم يخطر على بالي مطلقاً أن يفعل الأمريكيون ذلك، إن حيدر ينتمى إلى عائلة لها تاريخ عريق في معارضة صدام حسين. وقد تعرض للتعذيب أثناء نظام الرئيس المخلوع أثناء اعتقاله منذ ٨ سنوات، بسبب محاولة من ابن عمه لإغتيال عدى ولا يزال ذراع حيدر الأيمن يحمل آثار هذا التعذيب. لذلك كان واحداً من أشد المبتهجين بدخول الجيش الأمريكى إلى العراق. ورحب به. لقد قضى أغلب فترة خدمته العسكرية هارباً، وكان من أشد المناهضين لنظام الديكتاتور السابق. لذلك لم يخطر بباله فى أى وقت أن يصبح الضحية الأكثر شهرة فى قضية الانتهاكات الأمريكية بعد أن وجد نفسه فجأة واحداً من المسجونين داخل زنازين إنفرادية شديدة القسوة فى سجن أبو غريب سيء السمعة.

كان كل شئ يمضى عادياً بالنسبة لحيدر فى يومه الأول داخل سجن أبو غريب لكن الأمور تبدلت عندما حل المساء، فقد فوجئ بالحراس الأمريكيين يعرون السجناء ويربطون أيديهم فى زوايا غريبة إلى قوائم الأسرّة وفى الصباح وجدوا رعاية طبية ووجبتين من الطعام. ولم يتعرض حيدر لإنتهاك جنسى سوى مرة واحدة، فقد أرغم مع رجال آخرين على التعرى وممارسة العادة السرية والشدوذ فيما كانت مجنّدة أمريكية تسجل كل ذلك بالكاميرا. كان حيدر على الأرض فى الجهة اليسرى بين كومة الرجال العراة. وفى صورة أخرى كان هو الرجل مغطى الرأس الذى يشار - بطريقة مدلّة - إلى أعضائه التناسلية من امرأة مجنّدة تدخن. كان من السهل أن يكتشف حيدر نفسه فى الصور. لأنه يتذكر الأوضاع المهينة التى أرغموه على إتخاذها كما أنهم كانوا يرفعون عنه غطاء الرأس من حين إلى آخر. وهو ما جعله يتذكر المشهد كيف وصل حيدر إلى سجن أبو غريب؟

هذه حكاية أخرى. إن حيدر يعيش في مدينة الناصرية. وقد استأجر سيارة للذهاب إلى بغداد. لكن السائق لم يكن لديه وثائق تثبت ملكيته للسيارة. فاعتقلت نقطة تفتيش أمريكية قرب بغداد سائق السيارة وبالمرة اعتقلت حيدر أيضاً. وفي سجن أبو غريب كان حيدر ضمن سبعة سجناء وضع الحراس أكياس على رؤوسهم وربطوهم ببعضهم البعض، وسحبوهم لمسافة ٤٠٠ ياردة إلى الزنازين الإنفرادية وبعد ضربهم أمرهم الجنود بخلع ملابسهم. يقول حيدر في حوار معه أجريته «لوس انجلوس تايمز» ونقلته عنها «الشرق الأوسط».

«رفضنا القيام بذلك، فهو عمل يتنافى مع أعرافنا. وقد أبلغناهم بذلك لكنهم قالوا من الأفضل لكم خلع ملابسكم. وإلا تعرضتم للضرب. لكننا أصررنا على الرفض»

وإزاء هذا الإصرار - يضيف حيدر - تناول قائد المجموعة سكيناً ومزق ملابسنا، وسكب الجنود ماءً بارداً على أجسادنا، وأخذوا يضربون رؤوسنا في الجدران، ويقول حيدر.

«بعد حوالي ساعتين من الضرب أرغمنا الجنود على التكوم والتعري ووضع الأكياس على رؤوسنا، بحيث نكون على شكل هرم بشري. ثم أخذاني الخراس جانباً. ونزعوا غطاء رأسي، فوجدت نفسي وجهاً لوجه مع المجندة التي كانت تصورنا، وفوجئت بها تأمرني بالإستمناء، بينما كانت تضغط على نهديهما، وتضحك، وعندما أبدت احتجاجي على ذلك أوسعموني ضرباً، كنت في حالة رعب، كنت أرتجف، وكانوا يضربونني، ولذلك لم أتمكن من فعل ما يريدون. لكنهم وضعوا الغطاء على رأسي ثانية وأمروني بالإستمناء مرة أخرى. وجعلوني أتحسس وجه شخص اعتقدت أنه امرأة، لكنهم مزقوا غطاء رأسي، فاكتشفت أن قضيبى يلامس جسد سجين آخر وهو ما جعلهم يفرقون في الضحك كانوا يربطونني مع زملائي من رقبانا كالحیوانات. وأصدر قائد المجموعة أمراً لنا بأن نجلس في وضعية الكلب. كان ذلك يستمر بشكل

متواصل لمدة ثلاثة أيام أحياناً. أو ١٠ أيام في أحيان أخرى، إن المجنّدة التي كان حيدر يتحدث عنها هي «ليندى إنجلاند»، وقد عادت إلى بلادها. قبل الإعلان عن فضيحة سجن أبو غريب. وفور عودتها قالت لوالدها إنها حامل. وليس بإمكان أحد أن يرجح إذا ما كان الجنين الذي تحمله في بطنها هو ابن جندي أمريكي أم ابن سجين عراقي.

تتنمى ليندى إنجلاند إلى عائلة فقيرة يعمل أبوها عاملاً في السكك الحديدية وقبل إلحاقها بالجيش كانت تعمل وقتاً طويلاً لتوفر مصاريف دراستها وعندما أعلنت شبكة «سى. بى. إس» عن الفضيحة. اتصلت الشبكة بصديق لها قال: «إنها لم تكن يوماً سبباً في أية مشكلة لأحد»، وقال والدها كينيث إنجلاند لـ «واشنطن بوست» كانت ليندى تتولى مهاماً إدارية في السجن. وقد وقفت لإلتقاط الصورة مع جنود آخرين. المسألة بسيطة. إذن كما يراها والد ليندى. فما كل هذه الضجة؟ ولأن المسألة بسيطة هكذا فإن ليندى لم تتعرض إلى الآن لأية ملاحقات عسكرية في إطار القضية. لم يشمر والدها بالذنب كيف يمكن أن يشمروا بالذنب إذا كانوا يؤمنون بأن العرب هم مجرد حيوانات يجب تقييدهم بأطواق الكلاب؟

لكن، برغم ذلك. هناك من لا يزال قادراً على أن يرى الجريمة جريمة إن «سيمور هيرش» مثلاً هو كاتب تحقيقات شهير في جريدة «النيويورك» وهو معروف بأنه من الكتاب الذين يميلون إلى معاداة العرب، لكنه كتب تحقيقاً في جريدته يُدين هذه الممارسات ويشبه فيه سجن أبو غريب بمعتقل جوانتانامو. لكن هذا التشبيه الصادق في وقائع التعذيب يدفعك إلى التساؤل عن الفارق بين معتقلي جوانتانامو ومعتقلي أبو غريب!!

**عدة تقارير
عن الانتهاكات الأمريكية
في العراق بعد الغزو**

تقرير للجيش الأمريكى يعترف بتعذيب الأسرى العراقيين

«كارينيسكى، المتهمة فى احداث «أبو غريب» تؤكد تورط المخابرات المركزية فى الفضيحة مظاهرات فى نيويورك تطلب انسحاب قوات الاحتلال من العراق.. فوراً عواصم العالم وكالات الأنباء

تم أمس كشف النقاب عن فضائح جديدة فى قضية التعذيب الوحشى التى تعرض لها السجناء العراقيون على يد قوات الاحتلال الأمريكى فى سجن «أبو غريب» اعترف تقرير اعده الجيش الأمريكى أن الجنود الأمريكين ارتكبوا اعمال تعذيب وحشية ولا أخلاقية ضد السجناء العراقيين أكد التقرير الذى تم اعداده فى شهر فبراير الماضى ونشرته مجلة «نيويورك» الأمريكية أن الجنود الأمريكين مارسوا سلوكا وحشيا وإجراميا وغير إنسانى فى سجن «أبو غريب» كما اعترف التقرير بأن السجناء العراقيين تعرضوا للاغتصاب والعنف السادى والوحشى والإجرامى مثل اللواط والضرب المبرح والإساءة المهينة بالكرامة وأكد التقرير الذى اعده الجنرال انتوينو تاجوبا بناء على طلب الجنرال ريكاردو سانشيز قائد القوات الأمريكية فى العراق أن الجنود الأمريكين ارتكبوا سلسلة من الممارسات غير القانونية والإنسانية

ضد السجناء.

وأوضح التقرير أن هذه الممارسات شملت رش سائل فوسفوري على السجناء وضربهم بشكل مبرح بالعصى والكراسى وتهديد الرجال منهم والنساء بالإغتصاب فضلاً عن وضع عصي في مؤخرة المعتقلين. وأشار التقرير - الذى نقلت شبكة «بى. بى. سى» البريطانية مقتطفات منه - إلى أن الجنود الأمريكيون سمحوا لفرد من الشرطة العسكرية الأمريكية بخياطة جرح محتجز مصاب بعد أن ضربه فى حائط الزنزانة وأشارت المصادر إلى أن الأدلة التى اعتمد عليها التقرير - الذى يشكل وصمة عار فى جبين الولايات المتحدة - كانت عبارة عن شهادة لشهود عيان وصور فوتوغرافية شديدة الوضوح حول هذه الفضيحة.

واعترفت الجنرال «جانيس كارينسكى» - التى كانت تتولى قيادة سجن أبو غريب - بأن تعذيب السجناء العراقيين كان بتشجيع من ضباط المخابرات الأمريكية.

وقالت «كارينسكى» فى تصريحات لصحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أنها قررت التحدث لأنها إستشعرت أن القادة العسكريين يحاولون إلقاء التهمة عليها وعلى جنودها فقط وإبعاد الشبهة عن ضباط المخابرات الأمريكيين العاملين فى العراق. وكشفت شبكة «سى. إن. إن» الأمريكية أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ «سى آى إيه» تشارك حالياً فى التحقيقات الجارية حول فضيحة تعذيب السجناء العراقيين وأوضحت الشبكة أن التحقيقات تتركز حالياً. حول الجنود الأمريكيين الستة الذين شاركوا فى تعذيب وإمتهان كرامة الأسرى العراقيين واندلعت المظاهرات فى وسط حى مانهاتن بنيويورك للمطالبة بسحب قوات الإحتلال الأمريكى من العراق فوراً.

حارسات السجن تعرضن لإنتهاكات جنسية أثناء التدريب في بريطانيا.

استمر أمس الكشف عن تفاصيل مشينة جديدة في فضيحة تعذيب الأسرى العراقيين في الوقت الذي تزايدت فيه التوقعات بإتساع نطاق الفضيحة وخروجها عن السيطرة.

أعلن السيناتور الجمهوري ليندساي جراهام قاضى العسكريين الإحتياط أن فضيحة التعذيب قد تتصاعد على ضوء تقدم التحقيقات «وما خفى كان أعظم».

واعترفت المجندة الأمريكية سابرينا هارمان والتي تظهر في بعض صور التعذيب أن مهمتها كانت تحويل سجن أبو غريب إلى «جحيم». وأوضحت هارمان في رسالة عبر الإنترنت لصحيفة واشنطن بوست أنها كانت مكلفة بجعل المعتقلين ينهارون إستعداداً للإستجواب وقالت:

«كانت مهمة الشرطة العسكرية جعلهم متيقظين وتحويل الأمر إلى جحيم حتى يتكلموا».

«وسابرينا هي التي ظهرت بجانب سجناء مراقبين هرايا ثم تكويهم فوق بعض على شكل هرم. كما إتهمت سابرينا بضرب معتقلين وتوصيل أسلاك بيدي سجين أثناء وقوفه على صندوق ورأسه مغطى.

ودافع جندي أمريكي من زبانية التعذيب في سجن أبو غريب عن قيامه بقتل ٢ من المراقبين أثناء أحداث شغب ويرر المبرجنت تبهرى ستو ٤٤ عاماً أفعاله بزعم أنه كان يتصرف لمنع عنف أكبر.

واتهم «ستو» الجيش والسياسيين في واشنطن بالمسئولية عن الأوضاع المتدهورة وتجاهل الحقائق في العراق. وقال أن القيادة في الجيش مشغولة بأمور السياسة لدرجة إنهم لا يريدون أن يعرفوا الواقع الحقيقى.

واعترف «ستو» بأنه أطلق الرصاص على حشد يضم ٢٠ شخصاً شاركوا في مشاجرة اندلعت أثناء مباراة لكرة القدم. كما اعترف إنه في إحدى المرات أطلق رصاصة مطاطية على سجين رفض أن يجلس.

وأكد «ستو» أنه لن يغير سلوكياته لو عاد مرة أخرى إلى سجن «أبو غريب». واستمر الجدل حول الجهة التي كانت مسئولة عن سجن أبو غريب أثناء وقائع التعذيب. وكشف الجنرال «لانس سميث» نائب قائد القيادة المركزية أن الجنرال «ريكاردو سانشيز» قائد القوات البرية الأمريكية في العراق وقع أمرا في نوفمبر لوضع الشرطة العسكرية في أبو غريب تحت قيادة المخابرات العسكرية.

واضاف إنه تم إلغاء هذا الأمر بعد ذلك وأوضح النائب الجمهوري هينز ويلسون أن هذا الأمر اسهم في التخطيط بشأن المسئول عن السجن وما إذا كان الحراس تلقوا الأوامر من مسئولى المخابرات العسكرية الذين يقومون بعمليات الاستجواب وواجه الجنود البريطانيون اتهامات جديدة أمس بتهذيب السجناء في المراق مع كشف أحد الأسرى عن تعرضه لضرب وحشى من جنود وهم يضحكون وفي بيان لشاهد عيان حصلت عليه صحيفة «اند بندننت» أكد المهندس كفاح طه إنه أصيب بفشل كلوى بمد قيام جنود بريطانيين بضربه على مدى ٢ أيام في سبتمبر ٢٠٠٢ وقال أن الجنود كانوا يعيطون بنا ركلا لمسافة أبعد واطاف أن الجنود كانوا يستمتعون بذلك ويضحكون بصوت عال أثناء الضرب وإنهم أرغموه على الرقص أمامهم وأشار إلى أن أحد المعتقلين معه وهو موظف استقبال اسمه بهاء موسى توفي متأثرا بجروحه ونشرت صحيفة «ديلى ميرور» البريطانية فى صفحتها الأولى صورا جديدة تثبت تورط الجنود البريطانيين فى عمليات التعذيب ويظهر فى الصورة جندى بريطانى يأخذ «صورة تذكار النصر لرجل عراقى يسيل الدم من أسنانه فى مؤخرة عربة عسكرية.

أوضح الجندى البريطانى الذى ظهر فى الصورة إنه التقطها ليربها

لأهله واصدقائه حتى يبدو «قويا» أمامهم وأكد وجود اقراص «سي دي» تحمل كل واحدة منها على الأقل ٥٠٠ صورة من هذا النوع في كل مكان و اضاف إنه شارك ١٢ على الأقل من زملائه في ضرب وركل سجين عراقي مقيد اليدين.

وكشفت مصادر عسكرية بريطانية أن قوات الاحتلال البريطانية والأمريكية تلقت تدريباً خاصاً على أساليب التعذيب المتنوعة التي تم تصنيفها في نظام خاص يعرف باسم رمزي هو «أر ٢١» حول المقاومة للاستجواب ويعد أصل كل ما جرى من ممارسات غير إنسانية في سجن أبو غريب.

ونقلت صحيفة الجارديان عن ضابط سابق من القوات البريطانية إنه تم تدريب جنود الاستخبارات العسكرية البريطانيين الأمريكيين في مركز للخدمات الخاصة للاستجواب وأشار إلى وجود عدد كبير من المعلومات عن أساليب التعذيب والاستجواب لدى جنود سابقين في القوات الخاصة تم استجارتهم للعمل كمرتزقة.

وقال الضابط أن في مقدمة أساليب الأمتهان نزع الملابس عن السجناء والامعان في إذلالهم تحت شعار «اطيلوا مد صدمة الاسر» وتم استخدام حارسات من النساء في التعذيب الجنسي للسجناء الرجال وتم تدريبهن في بريطانيا.

واضاف إنه عندما كان بعضهم يبدي بعض التأفف والمقاومة في التدريب كان يتم اخضاعهن لاساليب جنسية منحرفة مثل السحاق و اضاف أن الجنود الأمريكيين يدركون تماماً حجم المماناة التي يسببونها للمراقبين ويعتقدون إنهم يتعاملون مع الاعداء المسئولين من هجمات ١١ سبتمبر.

مقال روبرت فيسك في صحيفة «الإنديبندانت» البريطانية

أمريكا استعانت بإسرائيليين لتعذيب العراقيين

المح الكاتب البريطاني الشهير روبرت فيسك في مقال بصحيفة «الإنديبندانت» البريطانية إلى تورط الإسرائيليين في عمليات تعذيب السجناء العراقيين في سجن «أبو غريب» اشار فيسك إلى أن القوات الأمريكية تعاقدت مع محققين غريباء غامضين تحيط بهم الشكوك دون أن يكون لقادة السجن أى سلطان عليهم وقارن فيسك بين الإرهاب الذى يمارسه تنظيم القاعدة والإرهاب الذى مارسه الجنود الأمريكيون فى معتقل «أبو غريب» وفيما يلى نص مقال روبرت فيسك:

فى البداية ابتكر اعداؤنا الهجوم الانتحارى والآن فإننا ابتكرنا نسختنا الخاصة من الهجوم الانتحارى الرقمى.. الكاميرا فقط انظر إلى الطريقة التى تجربها المجندة الأمريكية لينداى انجلاند أسيرا عراقيا عاريا وملتحيا وقد ربطته من عنقه بسلاسل جر الكلاب لا توجد مشاهد سينمائية سادية يمكن أن تحدث صورا بمقدار الضرر الذى أحدثته هذه الصورة وإذا كانت طائرات الإرهابيين فى سبتمبر عام ٢٠٠١ قد حولت مبنى مركز التجارة العالمى إلى كومة من الحطام وإذا كان المهاجم الانتحارى الإسلامى يصرخ الله أكبر فما الذى فعله شريك لينداى فى الجريمة ولماذا كانت حديقة منزله مليئة بصور آيات فى كتاب «الهوسة عن البذر والحرق والصالح والاستقامة

هل كان يمكن للإسلام أن يحتك عن قرب مع الاجواء الجنسية التي تشيع في العهد القديم وهل كان يمكن للمجندة لينداى المؤمنة بأفكار المحافظين الجدد المسيحيين والتي تذهب إلى الكنيسة بانتظام أن تصطدم بصورة عنيفة ومتمردة وفاحشة مع الإسلام ومن هو البرئ في هذه الصور التي اخفيت فيها الوجوه؟ هل هم زبانية التعذيب والإذلال أم هم الضحايا العراقيون ويخشى الرئيس بوش من رد فعل العالم العربى على هذه الصور لماذا؟ لأنه ومنذ عام تقريبا يحاول العراقيون ابلاغ الصحفيين بالمعاملة الوحشية التي يتعرضون لها على ايدى قوات الاحتلال إنهم لا يحتاجون الآن إلى هذه الصور الإجرامية لكي تثبت لهم ما يعرفونه بالفعل ولكن في تاريخ الشرق الأوسط فإن لهذه الصور نفس التأثير المدمر الذى أحدثته صور الحرب في فيتنام والتي يظهر فيها قائد شرطة سايجون وهو يمدم سجيناً فيتنامياً من «الفايتكونج» أو صورة الفتاة العارية التي يحترق جسدها بالنابالم أو أكوام الجثث في مدينة ماى لاي أما بالنسبة للعرب فإن المقابل الموضوعى لصور الحرب في فيتنام هو صور الجثث في مذبحة دير ياسين والمجازر الفلسطينية في صبرا وشاتيلا ولم يمر وقت طويل بعد دخول القوات الأمريكية إلى بغداد في ابريل من العام الماضى حتى وضع العالم ايديه على شرائط فيديو تصور مشاهد الجلد الوحشية لسجناء عراقيين في سجون صدام ولست ادري في أى دائرة من جهنم كانت تدور هذه الوقائع السادية والتي مازالت لدى نسخة من شريط مدته ٤٥ دقيقة.

لقد جلدوهم واستمروا في جلدوهم حتى تحطمت العصي فوق اعناقهم وتم إلقاؤهم داخل مواسير الصرف الصحى وانكمشوا مرتعدين مثل الكلاب والسؤال لماذا تم تصوير جرائم الحرب هذه لقد ظننت في البداية أن التصوير تم من أجل امتاع صدام وابنه المقرز عدى ولكنى ادركت الآن أن التصوير تم من أجل إذلال وتحطيم معنويات السجناء واستخدمت معاناتهم وتوسلاتهم المثيرة للشفقة وسلوكياتهم التي تشبه الحيوانات لإضافة طبقة جديدة من الاحتقار إلى مصيرهم والآن ادركت أيضا أن صور التعذيب وسوء

المعاملة التي تعرض لها السجناء العراقيون على يد القوات الأمريكية التقطت للسبب نفسه تماما شخصا ما قرر أن هذه الصور سوف تكون القشة الأخيرة ونقطة الانهيار ولحظة الاستسلام لهؤلاء الرجال ولم تكن مشاهد إجبار السجناء على ممارسة الجنس عن طريق الفم واجبارهم على النظر إلى الأعضاء التناسلية لأصدقائهم ودفع فتاة لإظهار اعجابها بمحاولات استئارتهم جنسيا سوى بعض من مفردات قاموس الإنحراف الصدامي لهذا. لنكن كما يقول الإمبريونيون عمليين لقد علمتم لينداى وعشيقها وباقي الأمريكيين الساديين فى سجن أبو غريب أن يفعلوا هذا لقد اعتدت أن أسأل من الذى علم الشرطة السرية العراقية والسورية أن يتقنوا التعذيب وكانت الإجابة على السؤال السابق بسيطة وهى البوليس السرى لألمانيا الشرقية ولكن من الذى علم لينداى وباقي الجنود الساديين الأمريكيين؟

حسنا: لقد قيل لنا إنه تم التعاقد مع محققين من الخارج للعمل فى سجن أبو غريب ولدى من الأسباب ما يجعلنى اعتقد أن الجنرال جانيس ماريانسكى قائدة السجن قليلة الحظ والتي سوف يتم تسريحها من الخدمة فى الجيش الأمريكى بسبب عمليات تحقيقات لم تكن تحت اشرافها أو سلطتها كانت تعلم أن هناك غرباء يقومون باستجواب السجناء ولن يتم السماح لها أبدا بدخول حجرة التحقيق ويمكننى الآن أن أرى لماذا؟

إذن من كان هؤلاء المحققون الفامضون؟ إذا لم يكونوا من المخابرات الأمريكية أو مكتب التحقيقات الفيدرالى؟

لقد بدأت تترد الأسماء فى الأوساط الصحفية إلا أن الصحفيين يقولون إنهم لا يملكون حتى الآن دليلا على هوية المحققين الفرياء أو عددهم واعتقد أن بعض المحققين يحمل أكثر من جواز سفر باسماء وجنسيات مختلفة؟

والسؤال الآن: لماذا تم جلب هؤلاء إلى أبو غريب؟ ومن الذى احضرهم وكم من الاجر يدفع لهم؟ ومن الذى يدريهم؟ ومن الذى علمهم أن قيام فتاة

بالإشارة إلى رجل عريى اجبر على الاستمراء فكرة جيدة أو أهانة عراقى بتفطية رأسه بملابس داخلية نسائية وما حدث فى سجن أبو غريب لم يكن تصرفات هواه وإنما تصرفات محترفين وقد اعتذر بالأمس أخيرا الرئيس بوش للعالم العريى عن هذه القذرات ولا شك أن هذا حدث بسبب الصور التى نشرتها صحيفة الواشنطن بوست والتى اثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن ما حدث لم يكن سلوكا فرديا وهو ما يتناقض تماما مع المزايم التى يرددها باستمرار كبار القيادات العسكرية الأمريكية فإن ما حدث لا يمثل القيم الأمريكية وبالتأكيد لم تكن لينداى وعشيقها اعضاء فى وحدة عسكرية للعمليات القذرة وإنما كانوا يفعلون كل البشاعات التى طلبت منهم لقد تم تشجيعهم وكان هذا أمرا من شخص ما.. من هو؟ ومتى يمكن أن نرى صورة وبطاقات هويتهم وجوازات سفرهم وأوامرهم نعم إنها جزء من ثقافة وتقاليده راسخة تعود إلى فترة الحملة الصليبية وهى أن المسلمين قذرون وفاسقون وغير مسيحيين ولا يستحقون أن يدعوا بشرا وهو تقريبا نفس ما يؤمن به أسامة بن لادن الذى نسبته المستر بوش تجاه العرب وهذه الحرب غير الشرعية وغير الإخلاقية والتى لا معنى لها أفرزت صوراً تكشف عنصريتنا لقد تحول السجين مغطى الوجه والذى ثبتوا الاسلاك الكريائية فيه بجسده إلى ايقونة شهيرة سنتذكرها دائما مثلما نتذكر صورة الطائرة الثانية وهى تضطدم بمركز التجارة العالمى لا بالطبع فنحن لم نقتل الاف عراقى ولكن قتلنا أكثر من ذلك بكثير.

١٠٠ ألف حالة تمذيب

بين الفترة من ٢٥ فبراير وحتى ١١ مارس الماضى أرسلت المنظمة العربية لحقوق الإنسان بعثة تقصى حقائق حاولت كشف بعض ما يحدث على أرض العراق المحتل على أيدي قوات الفزو الإنجلوا أمريكى رأس البعثة بو جمعة عشير عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة وأحمد عبيد المباحث بالمنظمة وعلاء شلبى عضو الأمانة التنفيذية حاولت المنظمة الوقوف على طبيعة الانتهاكات التى يتعرض لها الشعب العراقي سواء بشكل فردى أو جماعى تتم

بطريقة منظمة وفي كافة الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أيضا وموقف القانون الدولي منها.

ويلاحظ هذا أن أرسال بعثة المنظمة سبق فضيحة التعذيب الوحشي في سجن أبو غريب. بشهرين تقريبا وهو ما اعتبرته المنظمة على لسان الأمين العام السيد محمد فائق بمثابة ملف توثيقي لكل ما جاء بتقريرها بدءا من مذابح الفلوجة والنجف إلى فضيحة التعذيب المصورة بأبو غريب إلى صور الأغتصاب الجماعي لنساء عراقيات يؤكد التقرير أن قوات الاحتلال خاصة الأمريكية مارست انتهاك الحق في الحياة على نطاق واسع نتيجة القتل العمد للشعب العراقي والقتل الناتج عن التعذيب خاصة المشتبه في انتمائهم للمقاومة العراقية فضلا عن القتل الخطأ إضافة إلى جرائم الاحتلال الأخرى كإشاعة الفوضى بسبب غياب الرقابة الأمنية التي زاد من شعور المواطنين بالخوف أنواع الجريمة وتقييد حرية الحركة.

القتل العمد

استمعت بعثة المنظمة إلى شهادات بعض المراقبين التي أكدت وقوع حالات قتل عمدية قد يصعب حصرها جميعا منها سبيل المثال ما قام به جنود الاحتلال في مطلع يناير الماضي حيث قاموا بملاحقة سيارة نصف نقل كان يستقلها شابان وبعد تفتيشها والسماح لهما بالعبور من نقطة التفتيش عاد الجنود والقوا القبض عليهما وتقيدهما بأسلاك بلاستيكية ذات أسنان حادة وقاموا بتغطية رأسيهما بأكياس سوداء ثم ضربهما بالأيدي والأرجل والبنادق ثم تم نقلهما إلى أحد سدود المياه العالية وقاموا بالقائهما من المياه الجارفة ففرق أحدهما فيما تمكن الآخر من النجاة حاولت بعثة المنظمة مقابلة الشاب الذي نجا ولكنه تهرب منهم خوفا من بطش الاحتلال.

فوضى الميليشيات

حرص العراقيون في مختلف لقاءاتهم ببعثة المنظمة على تحذيرهم من

التجوال ليلا فى أى من شوارع بغداد نتيجة لانتشار أعمال السلب المسلح نتيجة الغياب التام للتواجد الأمنى ولاحظت البعثة أن معظم المحلات تغلق أبوابها مبكرا وتعتبر الميليشيات المسلحة اخطر مظاهر الفوضى الأمنية حيث تقوم العشائر والمذاهب المختلفة بتدبير حراسة من ابنائها تتولى حماية مراكزهم الحيوية وعلى الرغم من الإزدحام الشديد فى ساعات النهار إلا أن مظاهر الأغلاق تسيطر على معظم شوارع بغداد خاصة أن سلطات الاحتلال اغلقت ستين شارعا رئيسيا فى بغداد .

الأمان الشخصى

يعانى العراقيون بصفة مستمرة من عمليات المداهمة التى تتسم بقدر كبير من العشوائية حيث عادة تضم عدة منازل متجاورة وتتم بناء على الاشتباه أو الوشاية وتبدأ عمليات المداهمة عادة باقتحام الدبابات الأمريكية لباب البيت الخارجى مترافقا معها عمليات انزال جنود من الطائرات المروحية فوق اسطح المنازل تتبعها عملية تفجير للأبواب بمواد ناسفة تستعمل معها قنابل صوتية وعادة يصر الجنود على تفجير الأبواب حتى لو أبدى أصحاب المنازل رغبتهم فى فتحها بأنفسهم بعدها تبدأ عمليات تفتيش عنيفة تنتهى بتدمير المنزل وتزامن مع جمع النساء والأطفال فى إحدى الغرف والقاء القبض على الرجال الصبية ولا تنتهى عملية التفتيش إلا بعد تفتيش النساء والأطفال الرضع والإستيلاء على الأموال والمنقولات الثمينة وكافة الأوراق الشخصية وشهادات الجنسية وتنتهى العملية بنقل الرجال مفضويى الأيدى والأعين وعادة ما يتم ضرب وركل المعتقلين خلال نقلهم إلى اماكن الاحتجاز حيث يبدأ مسلسل آخر من التعذيب والاستجواب الذى يستمر لأيام لا يحصلون خلالها إلا على وجبة واحدة يوميا لا تكاد تكفى فردا واحدا ثم يتم الافراج عن البعض بعد ثلاثة أيام على الأقل ويتم ترحيل الباقين إلى سجون أعدت خصيصا لمن تسميهم معتقلين أمنيين .

أما التعذيب فقد تفنن الأمريكان فى ابتكاره وتبدأ بالضرب والحرمان

من النوم بتشغيل موسيقى صاخبة عالية الصوت لأوقات طويلة تصل إلى ٢٤ ساعة إلى جانب المعتقلين الأمنيين بخمسة عشر ألف معتقل بينما تشير المعلومات المتواترة من العراق أن الرقم الحقيقي للمعتقلين أضعاف هذا الرقم فضلا عن اعتقال النساء لفترات طويلة كرهائن لحين تسليم ذويهن وتتضارب الأرقام حول عدد النساء والمعتقلات.

معاملة السجناء

يحتجز المعتقلون العراقيون في سجون أبو غريب والمطار والرصافة والكاظمية وأم قصر والناصرية والرضوانية وغيرها من أماكن الاعتقال التي أحدثتها سلطة الاحتلال وسط ظروف بالغة الصعوبة حيث يتم الزج بالمقبوض عليهم في خيام مقامة في العراء وسط مناخ شديد القسوة وتوضع المعتقلات من النساء في زنازين متهالكة وغير نظيفة ويحرم الجميع من الغذاء عدة أيام وبعدها يقدم طعام غير صالح للإستهلاك الأدمى وتعطى لهم كميات قليلة من المياه ويقضى المعتقلون حاجاتهم في مراحيض بلاستيكية مكشوفة.

أشار بعض المحتجزين إلى أن عمليات تعذيب قد جرت لهم مثل القائهم في مياه مثلجة أو إجبارهم على السباحة في ساعات متأخرة من الليل أو الضرب المبرح في أماكن حساسة وتحجز النساء والفتيات ومن بينهن القصر في سجون لا تخضع لإدارة وإشراف الشرطة وتعد عملية احتجاز النساء في السجون بصورة عامة وتحت إشراف أمريكي بصورة خاصة عارا يلاحق الأسر ويدفعهما إلى التخلص من اللواتي أفرج عنهن قتلا خاصة بعد اكتشاف العديد من الوقائع التي تم فيها كشف الفتيات عرايا أمام ذويهن وقد اتفق معظم المعتقلين خلال فترة الاحتجاز مقيدين من الخلف بقيود بلاستيكية مسننة تهددهم في حال الحركة بالجرح أو قطع الأوردة.

❖ لا ينال المعتقلون قضاء حاجاتهم إلا تحت سمع وبصر الحراس.

- يحصلون فى العادة على وجبة غذاء ضعيفة وباردة.
- يمكن تعذيبهم بأبقائهم جالسين لثلاث أيام متصلة على مقعد خشبى.
- يتم تعذيب البعض بربط كلتا يديه بقيد حديدى فى عمود معدنى فى الشمس لفترات طويلة.
- تعاني السجون الكبيرة وأهمها أبو غريب من اكتظاظ ضخم فى عدد السجناء.
- أدى تكديس السجناء إلى إقامة خيام فى المراة تضم أعداد كثيفة من المعتقلين يضطرون إزاءها إلى التناوب على النوم.
- يتم صف المعتقلين لقضاء الحاجة مرتين يوميا.
- تمنح كل خيمة تضم ٥٥ معتقلا عبوتين من المياه يوميا للشرب والاستحمام.
- تغيب بشكل تام للرعاية الصحية رغم انتشار الأمراض بين المعتقلين.
- يتلقى المعتقلون وجبتين باردتين يوميا إحداهما كميتها معقولة والثانية قليلة الكمية للغاية وفى الحالتين فالطعام ردى ويمتنع المعتقلون عن تناوله خلال الأيام الأولى من الاحتجاز قبل أن تضطرهم الحاجة إليه.
- يعتمد حراس السجون الأمريكيون فى بعض الأحيان فتح أبواب الغرف التى يمارسون فيها التعذيب خلال التحقيقات أو بدونها لإسماع بقية المعتقلين صراخ زملائهم.
- غير مسموح لأى من المعتقلون الأمنين بتلقى زيارات المحامين أو الأقارب وصلاتهم مقطوعة بالخارج نهائيا.
- لا يتمكن افراد الأسرة الواحدة المعتقلون معا من الإطلاع على أحوال ذويهم المعتقلين معهم.

- يتعامل بعض الحراس الأمريكيين مع المعتقلين بعنصرية كبيرة ويتمنون لهم الموت باعتبارهم كائنات لا تستحق الحياة.
- يتم فى بعض الاحيان اطلاق المعتقلين مقيدين ومعضومين فى الطريق العام ومن دون متعلقاتهم الشخصية وبثياب السجن مما يعرضهم لمخاطر جمة.
- لا يتسلم المعتقلون عند الافراج منقولاتهم وخاصة الثمينة منها مثل الأموال وحلى النساء المصادرة خلال المدهم فضلا عن ضياع الأوراق الثبوتية الخاصة بهم وبذويهم.
- يبلغ المترجمون العراقيون المعتقلين قبل الافراج عنهم بضرورة توجيه الشكر إلى قائد السجن الأمريكى عن حسن المعاملة فى الاحتجاز وعدم السؤال عن المتعلقات الشخصية وإلا اعيدو للاحتجاز.
- ينتمى غالبية المعتقلين الأمنيين إلى العشائر العربية السنية وهو ما يؤدي إلى دفع الحال إلى مزيد من الاحتقان الأهلى وقد نقلت منظمات حقوقية إلى البعثة أن القوائم المعلنة بأسماء المعتقلين الأمنيين لا تشمل كثيرا من الحالات الموثقة لديها وأن الانتهاكات التى يمارسها الاحتلال توصف بالانتهاكات المنهجية وافادت مسئولة المركز الدولى لرصد الاحتلال قيام مركزها بتوثيق ١٠٠ ألف حالة.

معاناة المرأة العراقية فى ظل الاحتلال

تعيش المرأة العراقية وضعا مأساويا فى زمن الاحتلال بحيث يمكن أن توجه لها أى تهمة بعثية أو زوجة بعثى أو أخت بعثى أو أية تهمة أخرى وليس ضروريا اثبات التهمة ولا اجراء تحقيق ويمتد الحجز لزمن غير محدد ووقائع التحرش الجنسى ثابتة باعتراف بعض السجينات أو صمت بعضهن فى مجتمع يخشى عار البوح العلنى الخوف والشعور بالعار يمنع النساء من التصريح بما جرى لهن وخاصة أن أمتهان كرامتهن لا يلقى تفهما من الوسط العائلى والاجتماعى فكرامة المرأة تمتن من الذى القى عليها القبض ومن السجن وحتى إن خرجت من السجن فهي ترضى من الأسرة والعشيرة حسب ما جمعته البعثة من معلومات فإن عدد السجينات السياسيات بلغ ١٢ سجينة وردت اسماؤهن فى الجريدة الشهرية للمركز الدولى لرصد الاحتلال ومن بينهن.

● خديجة ياسين رمضان شقيقة طه ياسين رمضان وزوجة معروف نورى الهاشمى أم لأربعة أبناء التهمة بعثية وشقيقة طه ياسين رمضان اعتقلت فى ١٥ / ٨ / ٢٠٠٣ وخارج قوانين الأحوال الشخصية فرضت على المرأة العراقية قوانين تقيد حريتها وتبيع دمها وتعفى الجانى من العقاب إضافة إلى منعها من السفر إلا بمرافقة محرم وكل من اتهمت بالدعارة يقطع

رأسها هذا إضافة إلى أن المرأة تعاقب إذا تعرض زوجها أو ابنها أو أحد أقاربها إلى العقاب بل وتحرم من الميراث ومن ممتلكاتها هي وأفراد أسرتها وأبنائها وازدياد معاناة المرأة في البيت والشارع وبعض الدوائر الرسمية بدءا من التحرش الجنسي إلى التجاوزات المستمرة على حقوقها وباشكال مختلفة أزدیاد عدد النساء اللاتي فقدن أزواجهن نتيجة الحرب المتكررة وأعمال القتل التي مارسها الاحتلال إزدیاد عدد الفتيات اللاتي حرمن من التعليم نتيجة الوضع الاقتصادي وحالة الأمن والاختطاف.

ازدياد حالات القتل بدواعي الشرف والنظرة الدونية للمرأة بما في ذلك من تعرضن للاعتقال من قوات الاحتلال انتشار العنف العائلي بمختلف أشكاله.

انتشار الأمراض النفسية بين النساء لأسباب مختلفة الوضع العام المتسم بالتوتر والقلق والخوف من المجهول إضافة إلى الحالة الاقتصادية والاجتماعية ويقائهن داخل البيوت طيلة الليل والنهار وغرقهن بين مشاكل العائلة والأطفال.

وسقطت أسطورة الحرب النظيفة

جريمة حرب أمريكية

لقد شهدت جرائم الإعتداء على المدنيين تصاعداً واضحاً يتناسب طردياً مع إصرار الشعب على المقاومة، وفي هذا الإطار وقعت مذبحة حي «الشملة» مثلاً التي أطاح فيها صاروخ «كروز» موجّه أو طائش لا فرق. بحياة ٥٥ عراقياً كانوا يتجولون داخل السوق المكتظ.

التحالف يمتلك الآن حجة يحاول من خلالها تبرير جرائمه وهي أن المليشيات المسلحة المعروفة باسم (فدائيو صدام) يرتدون الملابس المدنية، وأنهم يدعون الإستسلام ثم يقاومون بصدادة، وبالتالي فإن قوات ما يسمى بالتحالف قد إشتبه الأمر عليهم، لو أنهم كانوا أكثر صدقاً لقالوا صراحة أنه لم يعد هناك فارق بين الشعب والجيش، فالكمل يرفض الإحتلال، والكمل يستحق. لهذا - صواريخ «كروز» و (توماهوك) مع تحيات (العم سام).

العدوان على العراق أسقط أيضاً أسطورة أخرى هي ما سمي بالأسلحة الذكية التي تعرف أهدافها، فقد إكتشف الجميع أن الصواريخ تاهت فجأة لتصل إلى إيران وتركيا بل إن النيران الصديقة قد طاشت عن مسارها لتقتل جنود التحالف وبعض الصحفيين.

الخسائر الجانبية

كل ذلك توقعه بعض المقلاء في وقت مبكر، وكان منهم «روين كوك»، الوزير البريطاني المستقيل احتجاجاً على إندلاع الحرب. دون الحصول على شرعية من مجلس الأمن. كتب «كوك» مقالاً مهماً في «الضدائ ميرور» نشر بعد يومين فقط من العدوان وأشار فيه إلى خطورة تعبیر (الصدمة والرعب) الذي كرره «رونالد رامسفيلد» وزير الدفاع الأمريكي. وقال الوزير البريطاني المستقيل: (إنني أشك كثيراً في أن العائلات العراقية التي تفرعها الانفجارات سيرأونها الشعور بأن هذه الحرب تستهدف تحريرهم، وأنها ستكون حقاً معجزة لو أن هؤلاء العراقيين لم يصبحوا جزءاً من تلك الإحصائيات المثيرة للإشمئزاز التي يطلقون عليها تعبیر (الخسائر الجانبية) ويحكي «كوك» في مقالة المهم عن أنه كان يرفض التوقيع على الخطابات التي تحمل عبارة (خسارة جانبية) وذلك أثناء توليه منصب (وزير الخارجية) كما أنه كان يعتقد دوماً أنه إذا كان هناك ضحايا من المدنيين فإن علينا على الأقل أن نعطيهم الاعتبار اللائق بأن نعتبرهم بشر مثلنا.

ولإبراء ذمته أمام التاريخ يذكر (كوك) أنه حذر في إجتماعات مجلس الوزراء البريطاني من أن خطة (الصدمة والرعب) التي اقترحها (رامسفيلد) ستكون (دموية) ولكنهم أخبروه (وربما كان يقصد بلير) أن الخطط المستهدفة ستكون دقيقة ومُختارة بعناية فائقة!

وعلى الرغم من أن «كوك» - الوزير المخضرم - يؤكد ثقته في (إحترافية) القوات البريطانية فإنه يعلن بصراحة أن دقة أحدث الصواريخ يعتمد على وجود هامش للخطأ قد يرتكبه الشخص الذي يقوم ببرمجة مثل هذه الصواريخ، ويضرب مثلاً لتلك الأخطاء بما فعلته صواريخ «كروز» من تدمير في السفارة الصينية.

(ربما يقصد ذلك الحادث الشهير الذي وقع أثناء الحرب ضد القوات الصربية).

ويذكر «كوك» نموذجاً آخر يفضح أكذوبة الأسلحة الذكية. فقبل أن يترك منصبه كوزير للخارجية بوقت قليل، وقع خطأ فاضح ومذهل من هذه النوعية في المنطقة التي خُطر فيها الطيران داخل العراق، فقد قامت الطائرات الأمريكية بقصف خيام لرعى الماعز كانت صور الأقمار الصناعية قد أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أنها بطاريات مدفعية عراقية مضادة للطائرات!

ويعود «كوك» للتحذير من الإنخداع بما يسمى «القنابل الذكية»، لأنه ستكون دائماً أخطاء غبية في عملية القصف كما حدث في حروب سابقة فإذا تكرر ذلك فإننا - كما يقول - سنتحدث مرة أخرى عن الدروس التي كان يجب أن نتعلمها من أخطاء الماضي، ولكننا لن نستطيع أن نفعل شيئاً لإعادة ضحية واحدة من ضحايانا إلى الحياة.

ومن أجل كل هذا إتخذ (روبن كوك) موقفه المعروف بأن تكون الحرب الملاذ الأخير، وفي حالة العراق بالتحديد فإنه كان من الضروري أن تمنح فرق بالتحديد فإنه كان من الضروري أن تمنح فرق التفتيش التابعة للأمم المتحدة الوقت اللازم لإنهاء عملها قبل الإندفاع بإتجاه الحرب.

الطريقة الجراحية

ومما يزعج بالفعل حول مصير المدنيين العراقيين أن هناك آراء إنتقده . وفى وقت مبكر من بداية الحرب . ما أعلنته قوات التحالف عن خطتها لإستئصال نظام صدام بطريقة (جراحية) تقليلاً لعدد الضحايا . كما زعموا .

حتى هذا (الزعيم) إنتقده بعض الخبراء العسكريين مثل الميجور جنرال «بيتر كورى» الخبير الاسكرى البريطانى الذى خدم فى (أيرلندا) واشترك فى حروب «فوكلاند» والبوسنة . «كورى» يشير فى دهشة إلى أن أنوار (بغداد) وكانت الحرب فى أيامها الأولى . مازالت مُضاءة، ومازالت القطارات تسير، كما أن المستشفيات مازالت تعالج المصابين فى العراق ويتساءل الميجور «كورى» لماذا يحدث ذلك؟ ويجيب: لأن «جيفرى هون» وزير الدفاع البريطانى قال (إننا نريد أن نحافظ على سلامة البنية الأساسية للعراق).

ملاحح خطة التحالف المُعلنة، كما يقول «كورى» التركيز على قصف أهداف منتقاة بعناية مع ضرب وسائل الدفاع الجوى لصدام وأدوات الإتصال مع قواته وتدمير مراكز التحكم والسيطرة، ويصف هذه الخطة بأنها تحاول إستخدام الأسلوب الجراحى فى التخلص من نظام (صدام حسين).

ولكن (كورى) يرفض هذا الأسلوب الذى يطلق عليه إختصاراً (M L F) أو إستخدام الحد الأدنى من القوة المميتة) ويفسر ذلك بقوله إن الأمر يقتضى هنا إستخداماً أقل درجة من قوة النيران لتدمير عدد لم تعد أمامه فرصة للبقاء، وبموجب هذه الخطة فإن الخسائر الجانبية (ويبدو أن هذا هو التعبير المفضل لوصف الضحايا من المدنيين) يجب أن تكون أيضاً فى أقل مستوى ممكن.

والسؤال المطروح الآن هل بالفعل تم الأخذ بنصيحة الميجور جنرال (كورى) أم أن النيران الطائشة طالت كل شئ وزادت (الخسائر الجانبية) بشكل كبير؟.. هذا ما ستوضحه الأيام القادمة. بعد أن تظهر الحقائق والإحصائيات الصحيحة.

الخاتمة

الخاتمة

الإستعمارية الأمريكية

لم يختلف المفكرون والمؤرخون حول السمة أو الطبيعة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية لكن إختلافاتهم إنحصرت فى مسألتين. الأولى هى طبيعة هذه الإمبريالية وما إذا كانت ذات طبيعة تقدمية كما ذهب وجهة النظر الأمريكية . غايتها نشر قيم الحضارة الأمريكية فى التقدم والحرية أم أنها إمبريالية شريرة شأن أى إمبريالية أخرى غايتها نهب خيرات الشعوب وإخضاعها لسيادتها .

أما وجه الخلاف الثانى فقد إتصل بالزمن الذى تحولت فيه الولايات المتحدة إلى قوة إمبريالية فذهب البعض إلى أن التوجه الأمريكى نحو المرحلة الإمبريالية ظهر فى التاريخ الأمريكى منذ أخريات القرن التاسع عشر وعلى وجه التحديد منذ عام ١٨٩٨ فى حين ذهب البعض الآخر إلى أن الإتجاهات الإستعمارية فى أوائل القرن السابع عشر وذهب فريق ثالث إلى إعتبار مبدأ مونرو الذى صدر فى عام ١٨٢٣ هو بداية التوجه الإستعمارى فى التاريخ الأمريكى.

الإمبريالية «الإستعمارية» الأمريكية فى نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٨)

وكانت وجهة نظر الفريق الأول هو أن الولايات المتحدة التى ظهرت فى أواخر القرن الثامن عشر من ١٢ ولاية يسكنها ٣,٥ مليون نسمة فى مساحة ٢ مليون كم^٢ لم يمض عليها قرن واحد حتى أصبحت فى أواخر القرن

التاسع عشر تتكون من ٤٩ ولاية يسكنها ٧٦ مليون نسمة فى مساحة تزيد على ٩ مليون كم^٢ وأن الجمهورية الصغيرة تحولت إلى دولة كبرى عالمية وأصبحت أعظم أمة فى الصناعة وأغنى دولة فى الزراعة ولديها فائض مالى كبير أكثر مما لدى أى دولة أخرى.

كان من الطبيعى أن تتجه الرأسمالية الأمريكية الكهيرة فى نموها المتعاضم ورغبتها المتزايدة فى تحقيق مزيد من الربح إلى البحث عن أسواق جديدة لإستثماراتها. ولذلك تغفلت هذه الرأسمالية خارج حدودها فيما عُرف بالإمبريالية الإقتصادية وجرت السياسة الأمريكية خلفها نحو المرحلة الإمبريالية التى ظهرت فى التاريخ الأمريكى منذ أخريات القرن التاسع عشر.

جذور الإمبريالية الأمريكية

لكن المفكر الأمريكى «نوم تشومسكى» يخالف هذا الرأى ويرى أن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية إتسم منذ بدايات المبكرة فى أوائل القرن السابع عشر (١٦٠٧) بالسمة الإمبريالية فحركة إستيطان الأوربيين البيض أراضى أمريكا كانت حركة إستعمارية منذ البداية والمستوطنون الأوائل اعتنقوا فكرة الشعب المختار وأرض الميعاد وبالتالي كانت التربة خصبة منذ البدايات الأولى للأفكار العنصرية والإتجاهات الإستعمارية.

ويتوقف تشومسكى عند المرحلة المبكرة من التاريخ الأمريكى وهى المرحلة التى تمت فيها عملية الإستيطان وتأسيس الدولة والتوسع نحو الغرب على حساب إبادة السكان الأصليين من الهنود الحمر ليدى أربعة ملاحظات هامة.

الملاحظة الأولى. إن إكتشاف أمريكا فى عام ١٤٩٢ أطلق عملية غزو العالم الجديد وتسبب فى كوارث سكانية لا مثيل لها فى التاريخ فقد أدى إلى إهلاك السكان الأصليين وإبادة عدة ملايين من الهنود الحمر.

الملاحظة الثانية: أن الهنود الحمر لم يكونوا مجرد وحوش وذئاب كما

وصفهم جورج واشنطن بل كانوا قبائل مسالمة تعرضت لعدوان المستوطنين البيض الذين فرضوا الحرب ومارسوا الوحشية واقتلعوا الهنود كما يقتلعون الأشجار لقد تعامل المستوطنين البيض مع الهنود بأسلوب توراتى وتصوروا أنفسهم شعب الله المختار وأن أمريكا هى أرض الميعاد التى وهبها لهم الرب وقاموا بذبح النساء والأطفال والمعائز ثم حاولوا تزييف التاريخ لكن التاريخ مازال يحتفظ بالتفاصيل الشنيعة لعمليات الإبادة الجماعية لهنود البيكوت وذبح هنود الألجونكين المسالمين دليلاً على وحشية المستوطنين البيض.

الملاحظة الثالثة: تتصل بحرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣) وأسبابها الحقيقية المتصلة بعملية التوسع نحو الغرب فبعد أن نجح المستوطنين البيض فى تأسيس ١٣ ولاية أمريكية على الساحل الشرقى فى مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى مليونى كم^٢ كان يسكنها نحو ثلاثة ملايين من المستوطنين البيض زادت شهيتهم للتوسع نحو الغرب لكن بريطانيا قررت وقف الزحف غرباً ومنع الإستيلاء على أرض الهنود فذهب المستوطنين الأمريكيون للثورة ضد إنجلترا وإزاحتها حتى يطلقوا لرغباتهم الإستعمارية العنان فى التوسع غرباً وإبادة الهنود.

الملاحظة الرابعة: تتصل بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى التوسع نحو الغرب وإستمرار إبادة الهنود فى القرن التاسع عشر وعدم الإعتراف للهنود بأى حقوق على أراضيههم طبقاً لفتوى جورج مارشال رئيس المحكمة العليا الأمريكية.

وأخيراً هذه هى جذور أمريكا الإستعمارية والذى يُعدّ تاريخها كله «حتى الآن» منظومة إستعمارية وتوسع وإبادة. وعدم إعتراف بالآخر.

والسؤال الآن.

ماذا سيفعل المسلمون؟. ماذا سيفعل العرب إذا كل هذه الأطماع فى النفط والأرض وحتى المقدسات.

الفهرس

٥	مدخل
٧	لعنة فيتنام
٩	عملية طهران
١١	جزينادا
١٢	غزو بنما
١٣	الهروب من الصومال
١٤	الوحش الصربى
١٥	غزو الكويت
١٧	مراحل التكوين لأمريكا الاستعمارية
٢٠	ظاهرة العنصرية وخطرسة القوة
٢٥	ظاهرة الاقلية الذكية والجمهور الوضع
٢٩	ظاهرة البراجماتية الأمريكية «النفعية»
٣٢	تفصيل بعض ما حدث من المذابح (١)
٣٣	هيروشيما
٣٥	مدينة درسدن الألمانية
٣٦	الحرب الكورية

- ٣٧ فيتنام نقطة بيضاء وسط عاصفة الظلام
- ٤١ العدوان الأمريكى على الجماهيرية الليبية
- ٤٢ أحداث ١١ سبتمبر.. وحرب السنوات العشر
- ٤٨ عهد ترومان. عصر من الجرائم
- ٤٩ ترومان
- ٥١ علاقة ترومان بزعماء الصهيونية العالمية
- ٥٢ برنامج الصهيونية
- ٥٥ الجرائم التى ارتكبتها الصهيونية
- ٥٦ العصر الذرى الجديد
- ٥٧ القنبلة الذرية الأولى
- ٥٨ الحرب النووية الأولى
- ٥٩ التسليم غير المشروط
- ٦٠ مبدأ ترومان
- ٦٠ لا للمعونة
- ٦٢ حرب الخليج الثانية
- ٦٣ حرب ارادتها أمريكا وخططت لها
- ٦٩ من المتوحش
- ٧٠ باشفتا كيلياس، زعيم هنود دولاوير ١٧٨٧

- ١٠٣ حرب قذرة
- ١٠٥ وشهدا شاهدون منهم
- ١٠٦ جرائم بوش وتابعه بلير
- ١٠٩ الله لم يفوض بوش
- ١١١ نحن نضرب وهم يتألمون هذه هي الحرب
- ١١٧ سيدى الرئيس بوش: شكراً على هذه المهزلة!
- ١٢٠ أيام العار فى بريطانيا
- ١٢٥ بوش.. مجرم حرب.. عليه ألا يذهب إلى بلجيكا
- ١٢٨ حرب «الغبى» وحرب «ابن الغبى»
- ١٣١ بوش.. تلميذ هتلر النجيب!
- ١٣٥ أصبحنا أمة جاهلة.. تخون أصدقاءها!
- ١٣٩ تقرير تاجوبا
- ١٣٩ تقرير الجيش الأمريكى : عن فضيحة سجن أبو غريب
- ١٥٣ عدة تقارير عن الانتهاكات الأمريكية فى العراق بعد الغزو
- ١٥٤ تقرير للجيش الأمريكى يعترف بتعذيب الأسرى العراقيين
- ١٥٩ أمريكا استعانت بإسرائيليين لتعذيب العراقيين
- ١٦٢ ١٠٠ ألف حالة تعذيب
- ١٦٣ القتل العمد

أمريكا والمذابح الجماعية

١٦٣	فوضى الميليشيات
١٦٤	الأمان الشخصى
١٦٥	معاملة السجناء
١٦٨	معاناة المرأة العراقية فى ظل الاحتلال
١٧١	وسقطت أسطورة الحرب النظيفة
١٧٢	جريمة حرب أمريكية
١٧٣	الخسائر الجانبية
١٧٧	الخاتمة
١٧٨	الاستعمارية الأمريكية
١٨١	الفهرس

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>